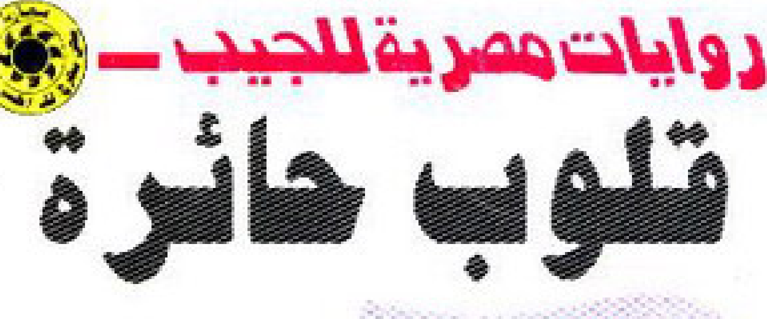




قلوب حائرة

شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحوَّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبِّ .. الحبِّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب .. وفى لحظات الكراهية .. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الاحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ رجل .. وامرأة ..

فى حجرة الاجتماعات بإحدى الشركات التجارية ، ترأس (فؤاد الأيوبى) رئيس الشركة اجتماعًا صغيرًا ضم أربعة من كبار موظفى الشركة .. حيث تحدث إليهم قائلاً :

ـ إننا مقبلون على صفقة تجارية كبرى سيكون لها أثر بالغ على نشاط المؤسسة .. بل لعلى لا أبالغ إذا ما قلت إنها ستكون أهم صفقة للمؤسسة منذ إنشائها لو نجحنا فى إتمامها بالفعل .

فقد أبدى مستر (شميت) رئيس مجموعة شركات (هاندل) الألمانية للاستيراد والتصدير ، إعجابه الشديد بمعروضات شركتنا من السيراميك وأطقم الحمام الفاخرة ، التى عرضناها فى المعرض الدولى الذى أقيم بألمانيا الشهر الماضى .. والذى حصلنا فيه على المركز الثانى من بين أربعين دولة وتسعين شركة ومؤسسة تنافسنا فى هذا المجال .

وقد أجريت عدة اتصالات خلال الأسبوعين الماضيين بين المؤسسة الألمانية ومؤسستنا أوضح من خلالها مستر (شميت) استعداده لاستيراد جزء كبير من منتجاتنا لحساب مؤسسته .. وأنا أعتبر هذا بمثابة وسام على صدورنا جميعًا .

تحدث أحد الحاضرين قائلاً :

ـ إنَّ مستر (شميت) ليس هو الوحيد الذى لديه هذه الرغبة فى التعامل مع منتجات شركة (الفيروز) للسيراميك .. فلدينا عدة عروض أخرى من بعض الشركات والدول الأجنبية بخصوص استيراد كميات من إنتاجنا .. خاصة بعد المركز الذى حققناه فى المعرض الدولى .

تحدث (فؤاد الأيوبى) قائلاً :

ـ نعم .. ولكن مؤسسة (هاندل) تعد أهم هذه الشركات .. والعرض الذى قدمته يعد أضخم العروض المقدمة لنا .

إنَّ التعامل مع هذه المؤسسة الألمانية بالذات سيحقق لنا شهرة دولية كبرى .. بالإضافة إلى المزايا المادية التى ستعود على الشركة .

تحدث أحد الحاضرين قائلاً :

ـ إنه شىء يتعين علينا جميعًا أن نفخر به يا (فؤاد بك) .

ـ نعم .. ولكن يتعين علينا ألا نكتفى بالرغبة التى أبداها مستر (شميت) فى هذا الشأن لاعتبار أن الصفقة قد تمت .. خاصة لو علمت بعض الشركات الأخرى المنافسة لنا بهذا الأمر .

ففى هذه الحالة سيسعى العديدون وراءه لمحاولة الاستئثار بهذه الصفقة .. وتقديم عروض أفضل .. وأنتم تعلمون جميعًا كيف تحدث مثل هذه الأمور ..

والرجل لم يلزم نفسه بالتزام صريح تجاه عقد الصفقة .. كل ما هنالك أنه حدد لنا موعدًا لزيارة المؤسسة ومشاهدة مراحل الإنتاج على الطبيعة فى مصانعنا .

وبعد ذلك تأتى مرحلة التفاوض بشأن الأسعار والنوعيات المطلوبة ، والكمية التى يتعين علينا تصديرها إلى غير ذلك من الأمور .

وإذا ما انتهينا من كل هذه المراحل ، ونجحت المفاوضات التى ستجرى بيننا وبينه وقتها نستطيع أن نهنئ أنفسنا بإتمام هذه الصفقة .

تحدث شخص آخر من الحاضرين قائلاً :

ـ لكن هل حدد مستر (شميت) موعدًا للحضور إلى مصر والتفاوض معنا بهذا الشأن ؟

ـ إنه سيحضر إلى مصر بعد ثلاثة أيام .. لكنه لن يأتى إلينا مباشرة .. بل سيذهب أولاً إلى (شرم الشيخ) لقضاء إجازته السنوية هناك .

وبعدها سيحضر لزيارة مؤسستنا والاتفاق معنا .

قال أحدهم باهتمام :

ـ أظن أنه يتعين علينا ألا ننتظر حتى يأتى إلينا .. بل لابد أن نذهب نحن إليه .. فهكذا تدار الأعمال المهمة .

سأله رئيس المؤسسة قائلاً :

ـ ماذا تعنى بذلك ؟

قال له الرجل :

ـ لابد أن هناك شركات أخرى منافسة تعلم بحضور الرجل إلى مصر .

أنا شخصيًا علمت بزيارته هذه عن طريق أحد موظفى شركة منافسة لنا ..

قبل أن أعلم بها فى اجتماع مجلس الإدارة .. ولا بد أنهم سيسعون للفوز بهذه الصفقة .

هذا عدا الشركات والمؤسسات الأخرى الأجنبية التى يهمها إبعادنا عن الاتفاق مع مؤسسة (هاندل) .. وسوف يلاحقون مستر (شميت) أيضًا بمندوبيهم فى (شرم الشيخ) أو فى أى مكان يذهب إليه ، لتقديم عرض أفضل والحصول على صفقة (هاندل) .

قال له (فؤاد) وقد بدا عليه الاهتمام :

ـ هل تعنى أن نرسل إليه أحد مندوبينا فى أثناء وجوده فى (شرم الشيخ) ؟

قال له الرجل :

ـ نعم .. هذا ما أعنيه .. علينا أن نحاصر الرجل حتى لا ندع مجالاً لأية شركة أخرى منافسة لكى تأخذ مكاننا .. وتظفر بهذه الصفقة .

قال (فؤاد الأيوبى) مستنكرًا :

ـ لكننا لا نحتاج إلى كل هذا .. فالرجل خاطبنا نحن وأبدى إعجابه بإنتاجنا ..

فضلاً عن أننا نعد من أفضل الشركات المتميزة فى هذا المجال . قال له الرجل :

ـ هل تسمح لى أن أكون أكثر صراحة معك يا (فؤاد بك) ؟

رد عليه (فؤاد) قائلاً :

ـ بالطبع .

قال الرجل :

ـ لقد علمت أننا لسنا الجهة الوحيدة التى خاطبها (شميت) .. وأنه أرسل إلى شركة (الضياء) المنافسة لنا ، ليخبرهم بأنه ينوى زيارة الشركة ومصانعها .. للنظر فيما إذا كان يمكن عقد اتفاق بينهم وبين مؤسسة (هاندل) ، حول استيراد منتجات شركتهم من السيراميك وأطقم الحمام أم لا .

نظر إليه (فؤاد الأيوبى) بدهشة قائلاً :

ـ هل أنت واثق مما تقوله ؟

أومأ الرجل برأسه قائلاً :

ـ كل الثقة .

صاح (فؤاد) منفعلاً :

ـ ومتى ؟ وكيف عرفت هذا ؟ هل عن طريق أحد موظفى شركة (الضياء) أيضًا ؟

أجابه قائلاً :

ـ نعم .. وقد علمت بذلك منذ يومين فقط .

ـ وما الذى دعاك للسكوت حتى الآن ؟

قال له الرجل وهو ينظر إلى الآخرين حوله :

ـ كنت أنتظر حتى يعقد هذا الاجتماع لأخبر جميع أعضاء مجلس الإدارة بالأمر ..

قال (فؤاد الأيوبى) بضيق :

ـ (فهمى) .. إننى لا أحب أسلوبك هذا فى التجسس على الآخرين .. واستخدام موظفى الشركات المنافسة كعملاء ينقلون لك أخبار مرءوسيهم .

فأنا لا أحب أن يأتى يوم اكتشف فيه أن أحد العاملين بمؤسستنا كان يتجسس علينا لحساب شركة أو مؤسسة أخرى .

فضلاً عن أن هذا يتناقض مع الأساليب الشريفة والمتعارف عليها فى المنافسة .

ابتسم (فهمى عبد الحفيظ) قائلاً :

ـ (فؤاد بك) .. هذه هى الأساليب المتبعة بين سائر الشركات المنافسة ، ولم يعد أحد ينظر إليها على أنها أساليب غير شريفة كما تقول .

إن أصول المنافسة تقتضى أن يكون لنا آذان وأعين مفتوحة دائمًا .. أما الاعتماد على جودة الإنتاج وحده .. فلا يكفى مطلقًا لتحقيق النجاح المنشود والتقدم على منافسيك .

وأنا أؤكد لك أن أصحاب المؤسسات والشركات الأخرى لديهم عملاء فى شركتنا ينقلون إليهم أخبارنا كما أفعل أنا .. لذا فأنا أرجو أن يظل اجتماعنا هذا فى طى السرية والكتمان حتى ننتهى من اللقاء مع مستر (شميت) ..

تحدث أحدهم قائلاً :

ـ إن ما يقوله الأستاذ (فهمى) صحيح تمامًا يا (فؤاد بك) :

قال (فؤاد) :

ـ لكننا حققنا النجاح الذى وصلنا إليه دون أن نلجأ ..

قاطعه (فهمى) قائلاً :

ـ بل كنا نلجأ ونستخدم دائمًا هذه الأساليب ، وأنت تعرف ذلك جيدًا يا (فؤاد بك) .. وكنت تعرف أيضًا مدى فائدة المعلومات التى كنت أستعين بها فى إدارة العمل بالشركة .. برغم تظاهرك بأنك لا تعرف شيئًا عن ذلك .

صاح (فؤاد) بغضب وهو يضرب بيده على المائدة :

ـ كيف تجسر على مخاطبتى هكذا ؟

قال له (فهمى) معتذرًا :

ـ أنت الذى طلبت منى أن أكون صريحًا معك يا (فؤاد بك) .. وعلى أية حال ..

قاطعه أحدهم قائلاً :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .. أنا شخصيًا أؤيد ما قاله الأستاذ (فهمى) .. ينبغى أن نتحرك سريعًا قبل أن يتفق مستر (شميت) مع غيرنا .. وتذهب هذه الصفقة إلى شركة (الضياء) أو أى جهة أخرى منافسة .

وتحدث شخص آخر من الحاضرين قائلاً :

ـ وأنا أيضًا أؤيد ذلك .. فلا يكفى فى عملنا الجودة والتفوق .. بل هناك أشياء أخرى تتعلق بالأسعار وسرعة التصدير .. وأمور أخرى مثل المجاملات .. كل تلك الأشياء تتدخل فى تحديد مثل هذه الاتفاقات ولابد من مراعاتها .

قال (فؤاد الأيوبى) :

ـ إذن فأنتم تقترحون أن نرسل مندوبًا من المؤسسة إلى (شرم الشيخ) ليتقابل مع مستر (شميت) .. ويحاول أن يستميله إلينا لعقد هذه الصفقة .

تحدث أحد الحاضرين قائلاً :

ـ بل إنى أقترح أن تذهب إليه بنفسك يا (فؤاد بك) .

نظر إليه رئيس المؤسسة قائلاً باستغراب :

ـ أنا ؟

أجابه قائلاً :

ـ نعم .. لا يوجد من هو أفضل منك للقيام بهذه المهمة .. فأنا واثق بأنك تستطيع أن تقيم علاقة شخصية مع الرجل .. والعلاقات الشخصية لها أهميتها فى هذا الشأن .

ـ لكن .. ماذا عن المؤسسة وأعمالها ؟ إن الرجل ينوى قضاء شهرٍ فى (شرم الشيخ) .. فهل أترك عملى هنا وأظل إلى جواره طوال هذا الشهر ؟

ضحك أحدهم قائلاً :

ـ إنها فرصة طيبة لتحصل على إجازة طويلة يا (فؤاد بك) .. فأنت لم تحصل على أية إجازة ولو قصيرة منذ سنتين تقريبًا .

قال معترضًا :

ـ كلا .. إننى لا أستطيع أن أبعد عن المؤسسة فترة طويلة كهذه ..

تحدث أحدهم قائلاً :

ـ ليس هناك ما يدعو لأن تستمر شهرًا فى (شرم الشيخ) .. المهم أن تحاول استمالة الرجل قبل أن يستميله غيرنا .. وتقنعه بأننا الأفضل فى التعامل مع المؤسسة التى يرأسها .

تحدث آخر قائلاً :

ـ أما عن العمل هنا .. فلن يتوقف .. نحن موجودون وسنديره كما لو كنت موجودًا تمامًا .. وسنكون على اتصال دائم بك بالطبع .

فكر (فؤاد) قليلاً .. ثم قال :

ـ حسن .. ما دمتم ترون ذلك .

★ ★ ★

همس أحد العاملين فى مصنع (السيراميك) قائلاً لزميله :

ـ انتبه لعملك جيدًا .. فقد حضرت صاحبة المصنع .. وأنت تعلم أنها تدقق فى كل صغيرة وكبيرة .

وبالفعل كانت (مديحة صبرى) امرأة صارمة فى اهتمامها بعملها .. وسيدة أعمال من الدرجة الأولى .

ومنذ أن تولت (مديحة) رئاسة شركة (الضياء) للسيراميك والأدوات الصحية ؛ بعد أن ورثتها عن أبيها بعد وفاته ، وهى تديرها على أكفأ وجه وبأفضل مما كانت عليه فى أثناء حياة الأب .

واستطاعت بفضل مجهودها الكبير وعزيمتها القوية أن توسع من حجم المصنع التابع للشركة ، وأن تضيف إليه مساحات أكبر لتتحول الشركة التى ترأسها إلى مؤسسة صناعية كاملة ومتميزة .. يضارع إنتاجها أعلى مستويات الإنتاج المحلى والأجنبى .

ومما لا شك فيه أنه كانت لشخصيتها القوية المميزة أثر كبير فى الوصول بهذه المؤسسة إلى المستوى الذى آلت إليه .

لكن ما لا يعرفه الكثيرون عن هذه السيدة ذات المظهر الجاد ، والشخصية الصلبة الصارمة ، هو أن ذلك الانطباع الذى تتركه لدى الآخرين لم يكن صادقًا طوال الوقت .

وأن خلق هذه الواجهة الصلبة التى تبدو عليها هذه السيدة كانت تختفى امرأة تحمل كل معانى الضعف الإنسانى الذى تعرفه المرأة .

كما كانت تخفى تجربة مريرة عاشتها منذ سنوات .. وكادت أن تحولها إلى امرأة هشة بائسة .. لولا المساعدة التى قدمها لها أبوها ، لكى تتغلب على أزمتها .. وتقاوم مرارة هذه التجربة ، ولولا اندماجها فى هذا العمل الذى أشركها فيه أبوها ، لتنوب عنه فى إدارة الشركة قبل أن تتولى مقاليد إدارتها بنفسها .

فقد اكتشفت فى نهاية العام الأول من زواجها .. أن هذا الزوج الذى أحبته ومنحته كل مشاعرها واهتمامها ، لم يكن مخلصًا لها على النحو الذى تصورته .

وأنه كان يخدعها طوال الوقت ويخونها مع أقرب صديقة لها .

ولم تكن صدمتها فى الزوج الذى أحبته والصديقة التى وثقت بها فقط ، بل فى كل المعانى والقيم التى صدقتها وعاشت بها منذ أن تفتحت عيناها على الحياة .

وقررت (مديحة) على إثر هذه التجربة أن تنزع من قاموس مشاعرها وحياتها كل ما يمت بصلة لكلمة الحب والزواج .

وأصبح عملها هو شغلها الشاغل ومحور اهتمامها الرئيسى .

فتحولت هذه المؤسسة التى ترأسها إلى عالمها الخاص الذى تحياه .. والذى لا تسمح لأى شىء آخر أن يشغلها عنه .

تأملت (مديحة) باهتمام إحدى قطع السيراميك المنتجة حديثًا ، قائلة للمشرف الفنى الذى كان يصحبها ، يرافقه عدد من المسئولين فى المصنع :

- هل قمت بفحص هذا النوع من السيراميك جيدًا ؟

قال لها الرجل بارتباك :

- نعم .

قالت له بحدة وهى تشير إلى زوايا الرسم الهندسى المنقوش على قطعة السيراميك :

- وكيف لم تلحظ عدم تطابق الميل الموجود فى هذه الزاوية ، من الرسم مع الزاوية المقابلة له ؟

ازداد ارتباك الرجل وهو يدقق النظر فى الرسم المنقوش على قطعة السيراميك قائلاً :

- أنا آسف يا سيدتى .. لكنه ميل غير ملحوظ .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- باللَّه عليك كيف تقول هذا وأنت المشرف الفنى على الإنتاج هنا ؟

وماذا يفعل هؤلاء العمال إذا كانوا يرون المشرف عليهم يتحدث عن عمله بمثل هذا الاستخفاف ؟

قال لها الرجل متلعثمًا :

- سيدتى .. إننى ..

لكنها قاطعته بحسم وهى تصدر أوامرها لمدير المصنع الذى يرافقها :

- يوقف خط الإنتاج الخاص بهذه القطعة من السيراميك مؤقتًا ، ويعاد الرسم الهندسى إلى المسئول المختص لتصحيح الخطأ الموجود فيه ، ثم يعرض علىَّ مرة أخرى قبل إعادة تشغيل خط الإنتاج .

وأردفت قائلة وهى تنظر إلى المشرف الفنى نظرة لوم :

- ويخصم ثلاثة أيام من السيد (عبد الحميد عزمى) لعدم مراعاة الدقة فى العمل .

صمت الرجل دون أن يجسر على مراجعتها فيما أصدرته من أوامر ، فى حين قال لها مدير المصنع على الفور :

- أمرك يا هانم .

واصلت جولتها داخل المصنع وقد أخذت تشيد بمجهود بعض العاملين ، وتبدى ملاحظتها بشأن

بعض الأمور الخاصة بالإنتـاج .. وقـد أخـذ مديـر المصنع يسجل تلك الملاحظات فى الأجندة التى يحملها ، ثم ما لبثت أن توقفت أمام إحدى الماكينات قائلة :

ـ لماذا لا تعمل هذه الماكينة ؟

أجابها مدير المصنع :

ـ لقد أخبرت سيادتك بالأمس أن هذه الماكينـة بهـا عطل فنى .

سألته :

ـ ولماذا لـم تستدع مهندس الصيانـة ليصلـح هذا العطل ؟

أجابها قائلاً :

ـ لقد أرسلت له يافندم ولكن تبين أنه فى إجازة .

قالت له باستغراب :

ـ ألا يوجد غيره ؟

قال لها موضحًا :

ـ إن المهندس (رشاد) هو المختص بهذا النـوع من الماكينات القديمة .

ـ إذن أرسل له خطاب استدعاء إلى منزلـه على الفور .. أريد أن أرى هذه الماكنيـة تعمل خـلال هذا الأسبوع .

هز الرجل رأسه قائلاً :

ـ حاضر يا فندم .

ـ على أية حال سوف نتخلص من هذا النـوع من الماكينـات القديمـة قريبًا .. وسـوف تحـل الماكينـات الإيطالية المستوردة التى سنتعاقد عليها محلها .. خلال العام القادم .

قال لها الرجل بحماس :

ـ إن هذا سيؤدى لمضاعفـة الإنتـاج فى المصنـع يا سيدتى .

وفـى تلك اللحظـة حضر إلـى المصنـع نـائب مديـر المؤسسة ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح الانزعـاج قائلاً لها :

ـ لقد سألت عنك فى الإدارة فأخبرونى أنك هنا فـى المصنع .

نظرت إليه وفى عينيها نظرة تساؤل قائلة :

ـ ماذا حـدث يـا أستـاذ (صـلاح) ؟ لمـاذا تبـدو منزعجًا هكذا ؟

همس لها قائلاً :

ـ من الأفضل أن أتحدث إليك على انفراد .. فهناك أمر مهم لابد أن تعرفيه ..

قالت له بهدوء :

ـ حسن .. انتظرنى فى مكتبى وسوف أحضر إليك بعد أن أنتهى من جولتى بالمصنع .

قال لها بإصرار :

ـ فلتؤجلى جولتك هذه لما بعد .. لأن الأمر مهم كما قلت لك .

* * *



٢ ـ الصفقة ..

سألته قائلة :

ـ ماذا بك يا (صلاح) ؟

أجابها قائلاً :

ـ أخشى ألا ننجح فى الحصول على الاتفاق الذى نرجوه مع مؤسسة (هاندل) .

سألته بدهشة :

ـ لماذا ؟

أجابها نائب رئيس المؤسسة :

ـ اتضح أننا لسنا الجهة الوحيدة التى خاطبها مستر (شميت) بشأن هذا الاتفاق .. فقد اتصل بمؤسسة (الفيروز) أيضًا ليخطرهم برغبته فى استيراد كميات ضخمة من إنتاج المؤسسة لحساب الشركة الألمانية .

قالت له بهدوء :

ـ وما الذى يدعوك إلى القلق بهذا الشأن ؟

نظر إليها باستنكار قائلاً :

- ألست مهتمة بالحصول على هذا الاتفاق مع المؤسسة الألمانية ؟

هزت كتفيها قائلة :

- مهتمة بالطبع .. لكن الأسواق العالمية فيها متسع للجميع .. ولا مانع من أن تتعامل المؤسسة الألمانية مع مؤسستين كبيرتين فى مصر مثل (الضياء) و (الفيروز) .

- لكن صاحب المؤسسة الألمانية يريد التعامل مع إحدى المؤسستين دون الأخرى ، ليقوم باستيراد إنتاجها وتسويقه فى (ألمانيا) و (أوروبا) ..

ومعنى هذا أنه سيفاضل بيننا وبين مؤسسة (الفيروز) ليتعاقد معها ..

وهذا التعاقد سيخضع لاعتبارات عديدة يتعين علينا مراعاتها .

قالت له وهى تتظاهر بالثقة :

- إننى لا أخشى المنافسة .

قال لها محتدًا :

- بل يتعين علينا أن نخشاها وأن نعد العدة لها .. فمؤسسة (الفيروز) ليست مجرد واجهة لشركة

عادية .. بل مؤسسة صناعية ضخمة وإنتاجها يتفوق على إنتاجنا فى الأسواق وأنت تعرفين ذلك .

كما أنهم أصبحوا موضع تقدير دولى فى الأسواق ، بعد حصولهم على المركز الثانى فى المعرض الذى أقيم فى (ألمانيا) الشهر الماضى .

قالت له بحماس :

- ونحن حصلنا على المركز الرابع .

- نعم .. ولكن المركز الثانى ليس كالرابع .. أليس كذلك ؟

ثم نهض وهو يردف قائلاً وقد أخذ يسير فى الحجرة :

- على أية حال ليس هذا هو المعيار الذى يجعلنا نخشى المنافسة .. فهناك معايير أخرى كما قلت لك توضع فى الحسبان بشأن مثل هذه الاتفاقات التجارية الضخمة ..

فضلاً عن أننا أدخلنا تحسينات كبيرة على إنتاجنا خلال هذا الشهر .. أعتقد أنها لن تجعل الفارق كبيرًا بيننا وبينهم .

لكن يتعين علينا أن نتحرك سريعًا .. ولا ندع المجال (لفؤاد الأيوبى) لكى يصول ويجول فيه وحده ..

نظرت إليه قائلة :

- كيف ؟

- لقد علمت من مصادرى الخاصة أن (فؤاد الأيوبى) ينوى السفر إلى (شرم الشيخ) خلال الأيام القادمة ليلحق برئيس المؤسسة الألمانية هناك حيث يقضى إجازته .

وأنه سيسعى لكسب صداقة الرجل .. وإقناعه بإتمام هذه الصفقة مع مؤسسته دون حاجة لزيارة أية مؤسسات أخرى .. كما أنه سيبذل أقصى جهده لإقناعه بالمزايا العديدة التى سيحظى بها من وراء التعامل معه .

وعاد ليجلس وهو يضرب بيده على المكتب قائلاً :

- وعلينا ألاّ نسمح له بذلك .

نظرت إليه باهتمام قائلة :

- وماذا تقترح ؟

قال لها سريعًا :

- نفعل مثله .. نذهب نحن أيضًا إليه .. ونحاول كسب وده ، وإقناعه بأن الاتفاق معنا سيكون هو الأفضل والأنجح لصالح المؤسسة .

ابتسمت قائلة :

- يا لها من طريقة لإفساد إجازة الرجل السنوية .

قال لها بجدية :

- ومن قال إننا سنفسد عليه إجازته ؟ إننا فقط سنحاول أن نتقرب إليه .. ندعوه إلى سهرة لطيفة .. أو عشاء عمل .. وفى أثناء ذلك نوضح له المزايا التى يمكن أن نقدمها له لو تعامل مع مؤسستنا .. ونعرض عليه (كتالوجات) لإنتاجنا الحديث من السيراميك وأطقم الحمام .. وإقناعه بأن الاتفاق معنا سيكون هو الأفضل .

إن هؤلاء الأشخاص عمليون جدًا .. وكثير من الصفقات تعقد بهذه الطريقة .

- لكن الرجل وعد بزيارة شركتنا ومصانعنا بعد انتهاء إجازته .

- إننا لن ننتظر حتى يأتى هو لزيارتنا أو يسبقنا إليه (فؤاد الأيوبى) .. ويعقد اتفاقًا معه .. بل عليه أن

يأتى لزيارة مصانعنا ومشاهدة إنتاجنا على الطبيعة .. وهو مقتنع تمامًا بأننا المؤسسة التى سيتعامل معها قبل مشاهدة هذا الإنتاج .

صمتت قليلاً وهى تفكر .. ثم قالت :

ـ معك حق .

ـ إننى مستعد للسفر إلى (شرم) الشيخ بنفسى والقيام بهذه المهمة .

ـ بل أنا التى سأسافر إلى هناك .

نظر إليها باستغراب قائلاً :

ـ أنت ؟

ـ نعم .. ألا تقول إن (فؤاد الأيوبى) سيسافر للالتقاء برئيس المؤسسة الألمانية بنفسه باعتباره صاحب مؤسسة (الفيروز) ؟

إذن فلا أقل من أن أسافر أنا أيضًا لترتيب هذا الأمر بنفسى .

ـ لكن قد يكون هذا الأمر صعبًا عليك .

ـ لقد تعودت على التعامل مع الصعوبات .. ولا أظن أن هناك شيئًا يمكن أن يفعله (فؤاد الأيوبى) ولا أستطيع القيام به أنا أيضًا .

ثم إن هذا الأمر يحتاج إلى قرارات حاسمة وسريعة بشأن المزايا التى يمكن تقديمها ، مثل تخفيض الأسعار مثلاً أو تقديم بعض التسهيلات بالنسبة للتصدير ، مما يتعين علىَّ أن أحدده بنفسى .

ـ وماذا عن إدارة العمل هنا ؟

ـ ستتولى القيام به بالنيابة عنى .. وعلى النحو المعتاد .

ـ حسن .. أظن أنه يتعين عليك استدعاء مدير العلاقات العامة لترتيب الأمر .. بالنسبة للسفر والإقامة .. وكل تلك الأشياء .

قالت له وهى تهم برفع سماعة الهاتف :

ـ نعم .. سأستدعيه الآن .

لكنها أعادت سماعة الهاتف بعد أن فكرت قائلة :

ـ لقد نسيت أنه حصل على إجازة منى لمدة أسبوع اعتبارًا من الأمس .. ثم عادت لتقول وهى تتناول سماعة الهاتف مرة أخرى :

ـ على أية حال سأستدعى من ينوب عنه لترتيب الأمر .

قال لها (صلاح) بعد برهة من التفكير :

- انتظرى .. لقد سمعت أن لدينا موظفًا بإدارة العلاقات العامة يجيد اللغة الألمانية .. ربما يكون مفيدًا لك فى التعامل مع رئيس المؤسسة الألمانى .

قالت له باهتمام :

- بالطبع .. ما اسمه ؟

- لا أتذكر اسمه الآن .. لكن لابد أنهم يعرفونه فى العلاقات العامة .

- يمكننا أن نحجز له غرفة فى الفندق للاستفادة به كمترجم لو احتجت إلى إجراء محادثة مع مستر (شميت) فضلاً عن قيامه بترتيب الأوراق والمقابلات الخاصة بهذا الشأن .

- هذه فكرة طيبة للغاية .. إننا بحاجة ماسة لهذه الصفقة لتحقيق طفرة كبيرة للمؤسسة .. وفتح مجال لأسواق عديدة لنا فى أوروبا .. فضلاً عن حاجتنا للماكينات الجديدة .. وما يقتضيه ذلك من مبالغ باهظة .

قالت له بثقة :

- اطمئن .. سنحصل على هذه الصفقة .

- حسن .. والآن وقد تحدثنا عن العمل .. ما رأيك لو نفسح المجال قليلاً للحديث عن أنفسنا ؟

- ماذا تعنى بذلك ؟

- هل نسيت سريعًا موضوع ارتباطنا ؟

قالت له بضيق وهى تغادر مكتبها :

- مرة أخرى يا (صلاح) ؟

نهض بدوره ليقترب منها قائلاً :

- إننى لا أرى أن هناك ما يحول دون ذلك .. فأنت تعرفين شعورى نحوك منذ فترة طويلة .. فضلا عن أننا متقاربان من ناحية المستوى الاجتماعى وشركاء فى إدارة العمل هنا و ...

قاطعته قائلة :

- أعرف كل هذا .. وأعرف أيضًا أنك شخص جدير بكل تقدير واحترام ..

وأنه لا يوجد بك ما يعيبك .. كل ما فى الأمر أننى قد نزعت فكرة الزواج هذه من تفكيرى تمامًا .

- لا أظن أن هذه فكرة صائبة .

- ربما .. لكننى مقتنعة بها .

- إذا كنت متأثرة بتجربة زواجك الأولى ..

قاطعته (مديحة) قائلة :

- من فضلك يا (صلاح) .. أنت تعرف أننى لا أحب الحديث عن هذا الموضوع .

- ولكنى واثق أننا نستطيع أن نكون شيئًا مختلفًا تمامًا .

- وأنا قد طرحت هذا الأمر من تفكيرى تمامًا .. وأرجو ألا تحادثنى عنه مرة أخرى .

قال لها مستسلمًا :

- حسن .. ما دامت هذه هى إرادتك .

★ ★ ★



٣ - فرصة العمر ..

كانت مفاجأة لـ (مدحت) عندما أخبره رئيسه المباشر بأن رئيسة الشركة تريده أن يذهب إليها فى مكتبها الآن .

فسأله بقلق قائلاً :

- هل أنت واثق أن الذى أرسل فى طلبى هو رئيسة الشركة بنفسها ؟

أجابه قائلاً :

- نعم .. وعليك أن تسرع بالذهاب إليها .

سأله (مدحت) :

- ولكن .. لماذا طلبتنى ؟

قال له الرجل بضيق :

- وما أدرانى بذلك ؟ هذا هو ما أخطرونى به هاتفيًا الآن .

- يقال إنها امرأة متشددة للغاية .

ابتسم رئيسه قائلاً :

ـ إذا كان الأمر يتعلق بإدارة الأمور فى العمل فقط .. أما غير ذلك فقد سمعت عنها أنها سيدة عطوف وكريمة للغاية .. وأظن أن الحوافز التى صرفت لنا الشهر الماضى تؤكد ذلك .

قال أحد زملاء (مدحت) وكان قد استمع إلى جزء من الحوار :

ـ إنها من حقنا .. فقد تضاعف الإنتاج خلال الفترة الماضية عدة مرات .

قال له رئيسه بسخرية :

ـ وما علاقتك أنت بالإنتاج لتتحدث عنه ؟ أنت هنا موظف علاقات عامة .. وما أديته من عمل خلال الفترة الماضية لا يستحق أن تنال عنه عشرة قروش أزيد عن راتبك .

إن من يستحق هذه الحوافز هم العمال والفنيون فى مصانع المؤسسة .. الذين يبذلون الجهد والعرق من أجل ..

قاطعه الرجل قائلاً :

ـ حسن .. حسن .. يا أستاذ (عزت) أنا آسف لأننى تكلمت .

على أية حال إن لنا عملنا هنا أيضًا .. وعملنا لا يقل أهمية عن عمل أولئك الذين يعملون فى المصانع .

قال (مدحت) متذمرًا :

ـ وهل تسمى ذلك عملاً ؟ العمل الحقيقى هو الذى يحقق الثراء لأصحابه .

العمل الحقيقى هو أن يكون لديك شركة أو مؤسسة كبيرة كهذه .. وأن تحقق مكاسب بالآلاف والملايين .. لا أن تنتظر حفنة جنيهات تقبضها فى نهاية كل شهر .. لا تكفى حتى ثمنًا للملابس التى ترتديها .

قال له رئيسه غاضبًا :

ـ هل ستظل واقفًا لتشرح لنا تطلعاتك المادية تاركًا رئيسة الشركة جالسة فى انتظارك ؟

ـ هأنذا ذاهب إليها .. أرجو أن يكون الأمر خيرًا .

وظل (مدحت) يتساءل وهو يعبر الممر الذى يفصل بين المبنى الذى يعمل به ومبنى الإدارة ؛ عن سبب استدعاء (مديحة صبرى) رئيسة المؤسسة التى يعمل بها له دون غيره من موظفى الإدارة .

إنه برغم عمله فى شركتها لم تتح له الفرصة للالتقاء بها شخصيًا .. ولم يظن أنها تعرف حتى بوجوده فى إدارة العلاقات العامة .

فكل تعاملاته معها تتم عن طريق مدير الإدارة .. فهو حلقة الوصل بين تلك السيدة التى خيل إليه أنها تسكن فى برج عاجى ، وبين موظفى العلاقات العامة .

حتى رئيسه المباشر الأستاذ (عزت) لم يقدر له أن يلتقى بهذه السيدة التى تدير تلك المؤسسة الضخمة بكفاءة يعجز عنها الرجال .. وظل يتلقى أوامرها مثله مثل بقية الموظفين عن طريق مدير الإدارة الأستاذ (وهبة) .

فما الذى حدث حتى تستدعيه بصفة خاصة اليوم لملاقاتها ؟

لقد أراد مرات كثيرة أن يراها فلم يتمكن من ذلك .

فلديها مدخل خاص لسيارتها .. ومصعد خاص يقودها إلى مكتبها .. وجهاز أمن لا يسمح لأى شخص بالاقتراب من حجرتها دون أوامر مسبقة منها .. وهو لا يدرى ما الذى جعل لديه هذه الرغبة الملحة لكى يراها من قبل ؟

ربما بسبب هذه الهالة التى يضفيها الآخرون عليها .. وتلك الأحاديث التى طالما سمعها عنها وعن براعتها فى إدارة العمل بالمؤسسة .

وربما بسبب إعجابه الخفى بها .. أو لأنها تبدو له أحيانًا وكأنها قلعة حصينة يصعب اقتحامها .

لقد رآها عدة مرات على شاشة التليفزيون فى أثناء افتتاح المصنع الجديد للشركة .. وفى افتتاح المعرض الدولى برغم عدم مقابلته لها شخصيًا .

وقد أحس أنها ـ برغم ما تبدو عليه من جدية وصلابة ـ تتميز بجمال غير عادى .. جمال يجذبك إليه منذ الوهلة الأولى التى تراه فيها برغم ما يحيط به من غموض .

أو ربما أنه بسبب هذا الغموض ذاته تجد نفسك منجذبًا إلى هذا الجمال . وأحس أن قناع الجدية والصلابة الذى تضعه على وجهها لم يفلح كثيرًا فى إخفاء بعض اللمسات الأنثوية الرقيقة فى تصرفاتها ، ومنذ أن رآها على الشاشة التليفزيونية وهو يتساءل .

ترى هل هى فى الحقيقة تبدو على النحو الذى رآها عليه على الشاشة ؟

أم أن أبعاد الصورة على الشاشة تجعل الشخص مختلفًا عمّا يبدو عليه فى الحقيقة ؟

إنها لحظات قليلة ويعرف ذلك بنفسه ..

وهو لم يعد يشعر الآن بحيرة أو رهبة من التقائه بهذه السيدة التى يسميها البعض بالمرأة الحديدية .. قدر إحساسه بالفضول والرغبة الشديدة فى رؤيتها والتحدث إليها مباشرة .

فقد كان يحسد عمال المصانع أحيانًا لرؤيتهم لها . فى أثناء تفقدها لأحوال العمل فى المصنع .. دون أن تتاح الفرصة لغيرهم من موظفى الشركة خاصة البسطاء منهم مثله لكى يحظوا بمثل هذا اللقاء .

وبرغم ما كان يقال عما تسببه من متاعب فى أثناء تفقدها لهذه المصانع . ها هوذا يجد نفسه واقفًا على باب حجرتها وقد تأهب لمقابلتها بعد لحظات قليلة .

استقبلته سكرتيرتها قائلة :

- هل من خدمة أقدمها لك ؟

- (مدحت سالم) .. من العلاقات العامة .. لقد أرسلت (مديحة هانم) فى استدعائى .

- آه .. لحظة واحدة .

دخلت السكرتيرة إلى حجرتها بينما ظل (مدحت) واقفًا فى مكانه وهو فى حالة ترقب .

وما لبثت أن عادت السكرتيرة لتشير إليه بالدخول قائلة :

- تفضل .

دخل (مدحت) إلى الحجرة الفسيحة الأنيقة الخاصة برئيسة المؤسسة .. تلك المرأة الحديدية كما يدعونها ، والتى يعمل لديها دون أن تسمح له الظروف بالاقتراب منها .

كانت جالسة خلف مكتبها الأنيق ، وهى تتحدث هاتفيًا ، عندما رأته وأشارت إليه بالجلوس فى المقعد المواجه لمكتبها مباشرة .

انتهز فرصة اهتمامها بالمحادثة الهاتفية ليتأملها .

كانت أجمل من الصورة التى رآها عليها فى شاشة التليفزيون ..

لكنه أحس بأنه ينقصها شىء ما .. شىء يمكن أن يظهر هذا الجمال فى صورته الحقيقية .

ربما تلك الابتسامة التى رآها على وجهها حينما كانت تستقبل بعض زوار الجناح الخاص بإنتاج المؤسسة فى المعرض الدولى .

كانت ابتسامة مشرقة أضفت على هذا الوجه جمالاً خفيًا لم تفلح تلك العوينات الطبيـة والشعر المعقوص والمظهر الجاد فى إخفائه .

تحولت نظراته إلـى المكتب الأنيق .. ومظـاهر الثراء المحيطة بتلك الحجرة الفسيحة ، وقد أخذ يتأمل ما حوله بإعجاب ظاهر قائلاً لنفسه :

- يا لهـا من حجرة رائعة تليق برئيس مؤسسة كبيرة بالفعل !

ثم استطرد قائلاً وقد اشتط به الخيال :

- هذه هى المكانة التى أستحقها والتى تتفق تمامًا مع أحلامى ومواهبى .. لو تبوأت مكانًـا كهذا .. فلن تستطيع أية قوة فى العالم أن تنتزعنى منه ..

وفجأة انتبه من شروده على صوتها بعد أن أنهت المكالمة الهاتفية وهى تسأله :

- هل أنت (مدحت سالم) ؟

أجابها وهو يعتدل فى جلسته قائلاً :

- نعم يا فندم .

سألته قائلة :

- هل تجيد الألمانية ؟

- نعم .

- وما درجة إجادتك لها ؟

قال لها وهو يتساءل فى نفسه عن سبب اهتمامها بدرجة إجادته للغة :

- إننى أجيد اللغة الألمانية إجادة تامة .

تراجعت فى مقعدها وهى تتأمله بعينين متفحصتين .

كان (مدحت) شابًا فارع القوام .. ويتميز بوسامة ملحوظة .

واستطاعت (مديحة) من خلال ملاحظتها السريعة عنه أن تجد فيه الشخص المناسب للقيام بالمهمة التى رشحه لها (صلاح) ..

سألته قائلة :

- وأين تعلمت اللغة الألمانية ؟

- إننى خريج كلية الألسن قسم اللغة الألمانية .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- حقًا ؟ وما علاقة ذلـك بعملك فـى إدارة العلاقات العامة ؟

ـ إنه المكان الذى استطعت أن أحصل على عمل فيه .

ـ على أية حال لقد أوحى لى ذلك بفكرة إنشاء قسم خاص للترجمة فى إدارة العلاقات العامة .

فنحن مقبلون على تعاقدات دولية .. وعلاقات مع شركات أجنبية سيكون بينها وبين مؤسستنا تعاملات .. وبدلاً من الاستعانة بمترجمين من خارج المؤسسة ، سيكون من الأفضل أن يكون لنا مترجمون خاصون بنا .

صمت (مدحت) دون أن يعلق بشىء وهو ما زال ينتظر معرفة سبب استدعائه .

وإن بدا له أن هناك علاقة أكيدة بين ذلك الاستدعاء وبين معرفته للغة الألمانية .

وما لبثت أن اتضحت الأمور أمامه حينما تحدثت إليه (مديحة) قائلة :

ـ لقد أرسلت فى استدعائك لأننى أريد أن أكلفك بعمل خاص بالشركة . هناك مفاوضات بين شركتنا وبين مؤسسة (هاندل) الألمانية ، بشأن استيراد

وتسويق إنتاجنا من السيراميك وأطقم الحمام ، عن طريق المؤسسة الألمانية فى ألمانيا وعدد من الدول الأوربية .

ورئيس هذه المؤسسة يقضى إجازته فى إحدى القرى السياحية بشرم الشيخ .. بعدها ستبدأ المفاوضات الرسمية بيننا بشأن هذه العملية التجارية .

بالطبع نحن لنا منافسون كثيرون يهمهم أن يفوزوا بهذه الصفقة .. لذا فنحن بحاجة لكسب ثقة الرجل فى إنتاجنا وأسلوبنا فى التعامل .. والمزايا التى يمكن أن تقدمها شركتنا للمؤسسة الألمانية لكى يقتنع بأننا الأفضل .

وهذه أمور لا بد أن تحدث قبل المفاوضات الرسمية .. وقبل أن يبدأ فى زيارة شركتنا وغيرها من الشركات الأخرى للمفاضلة بينها ..

وبالطبع فأنت تعرف أهمية هذا الاتفاق بالنسبة لنا سواء بالنسبة للأرباح المالية أو السمعة الدولية ، التى يمكن أن نحصل عليها لو طرحت هذه المنتجات فى الأسواق ، مدعمة بثقة مؤسسة كبيرة مثل

مؤسسة (هاندل) .. لذلك فقد قررت أن أسافر بنفسى إلى (شرم الشيخ) لأجرى بعض المفاوضات التمهيدية مع مستر (شميت) رئيس المؤسسة الألمانية ، قبل أن يبدأ تفاوضه الرسمى معنا .

وباعتبار أنك تعمل هنا فى العلاقات العامة .. وتجيد اللغة الألمانية ، فأنا أريد منك أولاً أن تسبقنى فى السفر إلى (شرم الشيخ) ، لتعد الترتيبات اللازمة بشأن إقامتى فى مكان قريب من المكان الذى ينزل فيه رئيس المؤسسة الألمانية ، فى تلك القرية السياحية .. وأن تعد الترتيبات اللازمة بشأن مقابلتى معه .

بالإضافة لمصاحبتك لى فى أثناء هذه المقابلات لتقوم بعملية الترجمة فيما بيننا .

وبالطبع ستحجز لك غرفة هناك وستبقى فى القرية السياحية طوال فترة إقامتى هناك .

وسيكون هناك بدل سفر وحوافز مجزية من أجلك ، بالإضافة لتحمل المؤسسة لجميع مصاريف إقامتك طوال هذه الفترة ..

واستطردت قائلة وهى تنظر إلى يده :

- وأظن أنه لن يكون لديك أى مانع .. ولا توجد أمامك أيَّة عقبات ، خاصة وأنك كما أرى لست متزوجًا .. ولست مقيدًا بأسرة .

قال لها (مدحت) سريعًا :

- أنا تحت أمرك يا فندم .. ومستعد للسفر من الليلة لو أردت .

- بل صباح الغد ، وسوف ألحق بك خلال يومين على الأكثر .

غادر (مدحت) مكتبها وهو يبتسم قائلاً لنفسه فى سخرية :

- هأنتذا قد تحولت إلى سكرتير خاص للهانم .. أحجز لها حجرة وأرتب لها جدول المقابلات .

وما لبث أن هزّ رأسه قائلاً :

- ولِمَ لا ؟ إن هذه هى فرصتى الحقيقية .. أن أكون قريبًا من صاحبة العمل وأن أكسب ثقتها .

نعم .. يجب أن أثبت لها أننى جدير بذلك العمل الذى كلفتنى به حتى أتمكن من كسب ثقتها .. فأنا لن

أبقى مجرد موظف بسيط فى إدارة العلاقات العامة .. وأظن أن هذه الفرصة التى جاءتنى هى البداية الحقيقية لتحقيق طموحاتى وآمالى .

وعاد يتبسم قائلاً :

ـ ثم من يرفض فسحة رائعة كهذه بصحبة امرأة جميلة مثلها ؟





٤ ـ الأيام الخوالى ..

تأكد (مدحت) من حضور مستر (شميت) إلى (شرم الشيخ) ، واستطاع من خلال حديثه مع موظف الاستقبال فى القرية السياحية معرفة مكان الشاليه المخصص لإقامته .

بدأ فى إجراءات حجز الشاليه المخصص لإقامة (مديحة صبرى) ، والغرفة التى سينزل بها فى الفندق الذى يتوسط القرية .

كان الجو رائعًا وبدت القرية السياحية وكأنها بقعة من الجنة فى هذا المكان الحالم الذى يتميز بالهدوء والسكينة .

وما إن اطمأن (مدحت) على الانتهاء من الترتيبات اللازمة بشأن الإقامة ، حتى استعد للقيام بجولة فى أرجاء القرية السياحية لمشاهدة معالمها ، والتمتع بهذا المناخ الخلاب الذى يأتى إليه السائحون من كل دول العالم .. ويرحلون عنه وقد استقر فى أذهانهم كما لو كان حلمًا جميلاً يذكرونه دائمًا .

لكنه سمع صوتًا قبل أن يبدأ في القيام بجولته .. صوتًا لا يمكنه أن ينساه . كان صوتها .. صوت (هيام) .

وظن أنه يتوهم .. لكن عندما نظر إلى جواره أدرك سريعًا أنه ليس وهمًا ، كانت هى بالفعل .

الفتاة الوحيدة التى عرف معها معنى الحب .. بحيويتها المتدفقة وعينيها الجميلتين اللتين وقع فى غرامهما منذ الوهلة الأولى .

كانت تسأل موظف الفندق باهتمام قائلة :

ـ إننى أؤكد لك أن الشركة قد حجزت أماكن لسبعة وعشرين شخصًا .. وليس لأربعة وعشرين كما هو مدون هنا .

قال لها موظف الاستقبال :

ـ ولكن المسجل أمامى هنا أربعة وعشرون فقط .

قالت له بغضب :

ـ على أيَة حال سأذهب لأحضر لك مندوب الشركة وهو يتفاهم معك .

وهنا تدخل شخص آخر يبدو أنه المدير المسئول قائلاً لها .

ـ لا داعى لذلك يا آنسة .. أظن أننا نستطيع معالجة الأمر .. فيبدو أن الموظف الذى اتصلت به شركتكم السياحية قد دون عدد أفراد الفوج السياحى خطأ .

وعلى أية حال يمكننا تدبير أماكن أخرى لأفراد الفوج السياحى ، برغم ازدحام القرية فى هذا الوقت من السنة .

ناداها (مدحت) بصوت هامس قائلاً :

ـ (هيام) !

حولت نظرها إليه وقد اتسعت حدقتاها من شدة المفاجأة قائلة :

ـ (مدحت) ؟

ثم أردفت قائلة وهى ما زالت تنظر إليه بدهشة :

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

ابتسم وهو يقترب منها قائلاً :

ـ ما الذى أتى بك أنت إلى هنا ؟

قالت له وهى تحاول التخلص من الارتباك الذى لحق بها من جراء هذا اللقاء المفاجئ :

ـ لقد جئت فى صحبة فوج من السياح الألمان لقضاء أسبوعين فى (شرم الشيخ) ..

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ وماذا تفعلين بصحبة هؤلاء السائحين ؟

ابتسمت قائلة :

ـ إننى أعمل مرشدة سياحية لحساب إحدى شركات السياحة ..

هل نسيت أننى كنت زميلتك فى قسم اللغة الألمانية بكلية الألسن ؟

قال لها مبتسمًا وهو يضع يده على جبهته :

ـ آه ! إذن فأنت تعملين الآن مرشدة سياحية .

ولكن منذ متى وأنت تزاولين هذه العمل ؟

ـ منذ ثلاثة أعوام .. وصدقنى لم أحصل على هذا العمل بسهولة .

ـ إذن يتعين على أن أهنئك .

تأملته قائلة :

ـ وماذا عنك ؟ أعنى ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

قال لها مداعبًا :

ـ جئت لقضاء إجازة قصيرة هنا .. سياحة .

قالت له ضاحكة :

ـ حقًا ؟ إذن فقد أصبحت من الأثرياء .

ـ ولم لا ؟ هل هذا كثير على ؟

قالت له وهى ترمقه بتلك النظرة المتأملة وقد عقدت ذراعيها أمام صدرها :

ـ بالنسبة لك لا أظن أن هذا كثير .. فقد قلت لك من قبل إنك ستكون من الأثرياء لأنك تمتلك من الطموح ما يمكن أن يحقق لك ذلك .

أطلق تنهيدة قصيرة من صدره :

ـ وحتى هذه اللحظة لم يحقق لى طموحى شيئًا من هذا الثراء الذى تتحدثين عنه .

وما زال هذا الحلم بعيد المنال .

ابتسمت قائلة :

ـ لكننى واثقة بأنك ستحقق أحلامك يومًا ما .

مرت بينهما برهة من الصمت عادت بعدها لتسأله قائلة :

ـ لم تخبرنى بعد عن سبب وجودك هنا ؟

- أنا أيضًا أؤدى عملاً هنا .

- هل تعمل فى هذه القرية السياحية ؟

- كلا .. بل موظف علاقات عامة فى إحدى المؤسسات الصناعية .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

- موظف علاقات عامة ؟!

- نعم .. وقد جئت إلى هنا من أجل إعداد الترتيبات اللازمة بشأن إقامة رئيسة المؤسسة فى هذه القرية السياحية .. والتى ستحضر خلال يومين .

قالت له وكأنها قد أصيبت بخيبة أمل :

- لكن ما علاقة ذلك بدراستك .. أنت الأول على الدفعة فى قسمِ اللغة الألمانية و ..

قاطعها قائلاً :

- وهذا أيضًا أحد أسباب حضورى إلى هنا .. فقد اختارتنى رئيسة المؤسسة التى أعمل بها بالذات لإجادتى اللغة الألمانية ، حتى أقوم بدور المترجم بينها وبين أحد رجال الأعمال الألمان .

- إذن فأنت تعمل مترجمًا لحساب المؤسسة التى تعمل بها .

- هذه هى المرة الأولى التى أقوم فيها بهذا العمل .. وقد جاء هذا عن طريق المصادفة .

- لا أظن أن هذه الوظيفة تتناسب مع طموحك وآمالك .

- إنها الوظيفة الوحيدة التى استطعت أن أحصل عليها .

- وماذا عن السفر ؟ لقد سمعت أنك سافرت إلى أوروبا سعيًا وراء الحصول على عمل هناك .

- لم أحقق هناك سوى فشل ذريع .

- وأين ذهبت مشاريعك وأحلامك التى طالما حدثتنى عنها ؟

ابتسم فى مرارة قائلاً :

- ذهبت مع الريح .

ثم سألها قائلاً :

- هل تزوجت ؟

بسطت يدها أمامه ليرى أصابعها قائلة :

- كلا .

- لماذا ؟

ضحكت قائلة :

- لأننى لم أجد الرجل الذى يتناسب مع طموحاتى بعد .

وفى تلك اللحظة لمحت بعض أفراد الفوج السياحى .. وقد أشار إليها أحدهم . فسارعت بمغادرة مكانها قائلة :

- عن إذنك .. لقد جرفنا الحديث ونسيت السائحين الألمان .

قال لها بلهفة :

- ألا يمكنك أن تنتظرى قليلاً ؟

ابتسمت له قائلة :

- لدى عمل أقوم به .

- إذن .. هل يمكننى أن أراك مرة أخرى ؟

- ما دامت ظروف عملنا تحتم تواجدنا فى هذه القرية السياحية ، فلابد أننا سنلتقى مرة أخرى .

- متى ؟

- دع ذلك للظروف .

صافحها بحرارة قائلاً :

- إننى سعيد لأننى التقيتك مرة أخرى .

هزّت رأسها قائلة :

- وأنا أيضًا .

وانصرفت وهو يتابعها بنظراته .. وقد نسى كل شىء عن العمل الذى جاء لأدائه هنا .. وانحصر تفكيره فى تلك الأيام الخوالى التى جمعت بينه وبين (هيام) .. والتى شهدت حبهما الذى لم يصمد طويلاً أمام التناقض الكبير بين أحلامهما وواقعهما .

* * *



٥ ـ لحظة فراق ..

لم تستطع (هيام) أن تحتفظ بحضور ذهنها على النحو الذى كانت عليه من قبل ، إذ أخطأت عدة مرات فى أثناء تحدثها مع السائحين الألمان .

فقد كان ذهنها منشغلاً بالتفكير فى هذا اللقاء الغريب الذى جمع بينها وبين (مدحت) فى هذا المكانِ ، بعد أن فرقت بينهما الظروف والسنون ، لقاء رتّبه القدر على نحو غير متوقع .

لقد أيقظ هذا اللقاء فى نفسها مشاعر قديمة استطاعت أن تتخلص منها بصعوبة شديدة .

أو ربما ظنت أنها استطاعت أن تتخلص منها ، بينما هى فى الحقيقة كامنة فى أغوار نفسها ، برغم أنها فرضت عليها أن تبقى فى حالة ثبات .

لقد أحبت (مدحت) .. ولم تحب أحدًا سواه .. وكانا على وشك أن يتزوجا لو تمسكا بطيشهما .. واستسلما لعاطفتهما .

لكن الواقع فرض نفسه عليهما بقوة .. واقع الفقر والحاجة .

فقر وحاجة يقابلهما طموح لا حدود له وآمال عريضة .

فهى الابنة الرابعة لأسرة مكونة من ستة أفراد .. يعولها أب يعمل فى وظيفة بسيطة لا يكفى العائد منها إطعام كل تلك الأفواه الجائعة ، مما اضطره لأن يمارس عملاً إضافيًا لكى يستطيع مواجهة أعباء هذه الأسرة الكبيرة ، خاصة أن الأم لا تعمل وهى مريضة دائمًا .

وبرغم الجوع والحرمان إلا أنها لم تتوقف عن الحلم .. كانت دائمًا تحلم .

أحلام استطاعت أن تحققها .. وأحلام لم تستطع .. لأنها تبدو أحيانًا من نوع الأحلام المستحيلة .

حلمت بأن تدخل الجامعة .. واستطاعت أن تحقق ذلك .. وأن تنجح بتقدير كبير .. وتمكنت من الحصول على هذا التقدير برغم الظروف الصعبة التى كانت تذاكر فيها .

حلمت بأن تحصل عى وظيفة جيدة واستطاعت أن تعمل فى هذه الوظيفة بعد أن بذلت الجهد الكبير فى سبيل أن تنالها .

واستطاعت بدخلها المناسب من هذه الوظيفة أن تسهم فى مساعدة أخواتها ، بعد وفاة أبيها الذى لم يستطع أن يصمد طويلاً أمام قسوة الشقاء والتعب اللذين فرضتهما عليه الحياة ، وهو يحمل على كاهله أعباء هذه الأسرة الكبيرة ..

كان عليها أن تتعلم كيف تتعامل مع هذه الحياة التى نشأت فيها وأن تواجه واقعها بلا ضعف .

واقع لا تحكمه العواطف .. ولا تحركه المشاعر .. بل يحكمه العقل .. ويحركه الطموح .

لقد حلمت بالحب .. دون أن تدرى أن هذا الحب رفاهية غير مقبولة لفتاة فى مثل ظروفها .

وعندما التقت بـ (مدحت) أحبته .. وكاد حبهما أن يتحول إلى رباط رسمى .

لكن واقعها كان يقف أمام هذا الحب ويدفعها بقوة لكى ترفضه .

وكان حبها لـ (مدحت) أشبه بغيبوبة عاشتها .. غيبوبة تتعارض مع ما حددته لنفسها من أهداف .. واختارته لحياتها من طموحات .

وكان يتعين عليها فى النهاية أن تستيقظ من غيبوبتها .. وأن تعود إلى الطريق الذى حددته لنفسها .. وذلك النوع من الأحلام الذى يمكنها أن تحققه .

حقًا كانت غيبوبتها مصحوبة بحلم جميل .. فحبها لـ (مدحت) كان أجمل شىء مرّ بحياتها ، أجمل حتى من أن يصبح واقعًا .

فكلاهما كان فقيرًا .. وكلاهما كان فى نضال مستمر ضد الظروف القاسية التى فرضتها عليه الحياة .

كلاهما لم يكن يملك سوى الأحلام .. أحلام كبيرة وطموحات لا حدود لها ..

ولم يكن أحدهما يستطيع أن يحقق للآخر تلك الأحلام أو يساعده على تحقيق تلك الطموحات .

والأحلام لا تكفى وحدها لتَبنى بيتًا وتحقق حياة رغدة تعوض ما مر به كل منهما من فقر وحرمان .

كما أن الحب لايمكنه أن يصمد طويلاً أمام ذلك الطموح الذى سيطر على تفكيرهما واستقر فى عقليهما .

ولم يكن صعبًا عليها أن تقنع (مدحت) بذلك .. فقد كانت لديه نفس الأفكار ونفس الطموحات .. ونفس النظرة الواقعية للأمور .

لكن التضحية بالحب والارتباط الذى جمع بينهما ونما تدريجيًا منذ أن تعارفا فى الكلية ؛ لم يكن أمرًا سهلاً بأى حال من الأحوال .

واستعادت فى ذهنها تلك اللحظات الجميلة التى عاشاها معًا .. وفرحتها الكبيرة يوم أتى إلى منزلها ليخطبها .

والأحلام الوردية التى حلما بها فى البداية .. ثم أخذت تتراجع تدريجيًا أمام قسوة الواقع .

وعبس وجهها وهى تستعيد ذكرى ذلك اليوم الذى قررا فيه أن ينفصلا .

كانت تعرف قسوة هذا القرار على كليهما .. لكنها كانت واثقة أيضًا أنه الاختيار الصحيح .

لقد التقيا ذلك اليوم فى مكانهما المفضل فى ذلك الكازينو المطل على النيل .

وكانت واجمة .. فقد استقر رأيها فى الليلة الماضية على فسخ الخطبة والانفصال عن (مدحت) .

وكان يتعين عليها أن تخبره بذلك فى هذا اللقاء .. لكنها لم تجد الشجاعة فى نفسها للاتفاق معه على ذلك ، بنفس القدر الذى اتخذت به قرارها ليلة أمس .

فقد بدت مترددة .. وأحست بأنها لا تقوى على الابتعاد عن الشخص الذى أحبته ، ودفعه بعيدًا عنها ، بعد أن استحوذ على جزء كبير من حياتها وكيانها ومشاعرها .

ووجدت أنها لا تستطيع تنفيذ قرارها .. وأنه يتعين عليها أن تتراجع ، أو على الأقل تعيد مناقشة هذا القرار بينها وبين نفسها .

لقد كانت تظن دائمًا أن عقلها أقوى بكثير من قلبها .. لكنها أحست فى هذه اللحظة أن قلبها يخوض صراعًا قويًا مع عقلها ، قد تكون له الغلبة فيه .

نظر إليها (مدحت) بحيرة قائلاً :

ـ لماذا تبدين واجمة هكذا ؟

سألته قائلة :

ـ (مدحت) .. متى نتزوج ؟

قال لها مرتبكًا :

ـ هل سنعود إلى الحديث فى هذا الأمر ؟ سنتزوج عندما تتحسن ظروفنا .

- ومتى تتحسن ظروفنا ؟

- (هيام) .. ماذا بك اليوم ؟

قالت له بعصبية :

- أجبنى يا (مدحت) .. متى تتحسن هذه الظروف ؟ هل استطعت أن تحصل على شقة مناسبة أو حتى غير مناسبة لنا ؟ هل باستطاعتك تدبير بقية نفقات الزواج ؟

- (هيام) .. لقد عقدنا خطبتنا منذ عام .. وقد أخبرتك وقتها أننى لن أكون مستعدًا لإتمام الزواج قبل ثلاثة أعوام .

- وكيف ستكون مستعدًا لذلك وأنت لم تستطع الحصول على عمل ثابت حتى الآن ؟ بتلك الجنيهات القليلة التى تتقاضاها فى نهاية كل شهر ؟

لو حسبت الأمر بدقة ستجد أنه لا ثلاث سنوات ولا أربع ولا خمس يمكن أن تكفى لمواجهة التكاليف الباهظة للزواج ، أو على الأقل التى نعدها باهظة بالنسبة لنا .. فلا داعى لأن نضحك على أنفسنا .

- (هيام) .. لقد وعدتك بأننى سأسافر إلى الخارج .. وسوف .. قاطعته قائلة بانفعال :

- أحلام .. ليست سوى أحلام .. إن كلاً منا له طموحات وأحلام كبيرة .. لكننا فى النهاية لا نفعل شيئًا سوى أننا نحلم .

لقد سعيت كثيرًا وراء الحصول على فرصة للعمل بالخارج .. لكن فى كل مرة كان الأمر يبوء بالفشل .

لا عمل مرموق بالداخل .. ولا عمل حقيقى بالخارج .. ولا مبلغ من المال يمكن أن نعتمد عليه لتكملة مشوارنا معًا .

لا شىء سوى الأحلام .. وما أسهل الأحلام وما أصعب الواقع !

قال لها (مدحت) بغضب :

- إنك تتحدثين وكأنك قد أصبحت جاهزة بدورك للزواج .. هل نسيت أنك أيضًا مطالبة بالإسهام فى إعداد منزل الزوجية حسب الاتفاق الذى تم بيننا ؟

وأنك لم تستطيعى حتى هذه اللحظة تدبير أى شىء مما اتفقنا عليه .. كما أنك لا تملكين حتى هذه اللحظة إمكانية تدبيره .

وأنك أيضًا لم تستطيعى الحصول على أى عمل حتى الآن .

– أنا لا أنكر ذلك .. أنا أيضًا تركت نفسى للأحلام تقودنى للاندفاع وراء مشاعرى .. وتصور لى أننا سنتغلب على كل العقبات ونحقق كل الطموحات التى طالما تحدثنا عنها .

لكن الحقيقة التى يجب أن نعترف بها يا (مدحت) .. أننا لن نستطيع أن نحقق شيئًا من هذه الطموحات والأحلام إلا فى خيالنا فقط .. طالما استمررنا فى ارتباطنا ببعض .

أتعرف لماذا ؟ لأننا فقيران وإمكانياتنا أضعف بكثير من أن تحقق لنا شيئًا مما نحلم به .

وحتى لو استطعنا أن نتزوج بإمكانيات بسيطة .. وأن نحصل على شقة متواضعة .. ونجد الدخل الكافى لإعاشتنا حياة بسيطة أو حتى متوسطة ؛ فلن يمكننا أن نكون سعداء ، وسنتمرد على هذه الزيجة سريعًا .. ولن نقتنع بهذه الحياة .

لأن كلينا – ونحن متشابهان فى ذلك – بداخله طموح قوى .. طموح لا ترضيه حياة متواضعة كهذه .

نظر إليها قائلًا :

– وما هو الحل الأمثل فى رأيك ؟

– إن ارتباطنا يقيد حريتنا فى الحركة وفى تحقيق الآمال التى نرجوها ، لأنه يحصرنا داخل دائرة الفقر التى فرضها علينا واقعنا وظروفنا ..

لذا يتعين على كل منا أن يشق طريقه خارج هذه الدائرة .

قال لها بهدوء دون أن يبدو عليه أى أثر للانفعال أو المفاجأة هذه المرة :

– هل تريدين منا أن نفترق ؟

قالت له وهى تخفض بصرها دون أن تقوى على مواجهة نظراته :

– نعم .

قال لها بنفس النبرة الهادئة :

– ولكن هناك حقيقة أخرى لا يمكنك إنكارها .. وهى حبنا .

إلا إذا كان هذا الحب لم يكن حقيقيًا من جانبك .

قاطعته سريعًا وهى تقول :

– إياك أن تقول ذلك .. فأنت تعرف جيدًا أننى أحبك .

– إنك تحيريننى .. فإذا كنت قد أحببتنى حقًا ..

قاطعته مرة أخرى :

ـ يتعين عليك ألا تسأل هذا السؤال .. لأنك ستجد إجابته لديك .

لأنك قلتها لى ذات مرة .. الحب وحده لا يكفى هذا الزمان .

صمت قليلاً .. قبل أن يقول دون أن يتخلى عن هدوئه :

ـ معك حق .

ـ إذن ... فأنت متفق معى فيما قلته .

ـ أظن أننا قد اندفعنا وراء عاطفتنا ، دون أن ننظر إلى ما هو أبعد من هذه العاطفة .

ويتعين علينا ألا ندعها تتحول الآن إلى قيود تحول دون أن يحقق كل منا الطريق الذى اختاره لنفسه منذ البداية .

ـ إننى سعيدة لأنك عدت إلى منطقك العقلانى وأصبحت الآن تفهمنى جيدًا .

وهذا سيخفف علينا قسوة المشاعر التى تفرضها مثل هذه المواقف ويهون لحظة الفراق .

ـ لا أظن أنها يمكن أن تكون هينة بأية حال من الأحوال .

قالت له وهى تنزع دبلته من إصبعها :

ـ ولا تظن أنها هينةً على أنا أيضًا .. لكن علينا أن نكون أقوى من مشاعرنا .

وأعطته الدبلة فأخذ يقلبها فى راحته ، وقد تغلبت ملامح الألم التى ارتسمت على وجهه على ذلك التعبير الهادئ .. الذى كان عليه منذ قليل .

سألها فى توسل قبل أن تنصرف قائلاً :

ـ هل يمكن ألا يحول ذلك دون أن نلتقى من آن لآخر .. على النحو الذى كنا عليه ونحن زميلين فى الكلية .

قالت له وهى تجاهد للاحتفاظ بهذه القوة التى استطاعت أن تستجمعها فى نفسها لمواجهة صعوبة الموقف :

ـ لا أظن أن هذا فى صالحى أو صالحك .. كما أننا لم نعد زميلين .

ـ لكن ..

قالت له وهى تبتعد سريعًا لكى تتغلب على لحظة الضعف التى أحست بها :

ـ وداعًا يا (مدحت) .

هم بالنهوض لكى يلحق بها .. لكنـه عاد للجلوس فى مكانه مرة أخرى وهو يمسك بالدبلة بين أصابعه قائلاً :

ـ لا داعى للاندفاع وراء العاطفة مرة أخرى .. ويتعين علينا أن نتوقف عند هذا الحد .. فقد اختارت (هيام) القرار الصائب والأصلح لكلينا ..

وربما لو لم تختره هى لاخترته أنا يومًا ما ..

* * *



٦ ـ بداية الطريق ..

لم تكن (هيام) وحدها التى جدد لها هذا اللقاء مشاعر الحب القديمة التى عرفتها مع (مدحت) .

تلك المشاعر التى لم تحسها مع أى شخص آخر سواه .. والتى لم تفارق خيالها طوال السنين التى انقضت منذ فراقهما .

فقد ظل (مدحت) يفكر طوال الليل منذ أن التقيا ، فى هذه الفتاة التى لم يتفتح قلبه للحب إلا من أجلها .

واستعاد ذكرى هذا الحب الذى مرّت عليه السنون ، دون أن تنمحى آثاره تمامًا من قلبه .

لقد افترقا من أجل أن يشق كل منهما لنفسه طريقًا للنجاح ، دون أن يكون مكبلاً بأىّ التزامات مادية أو عاطفية تجاه الآخر تحول دون ذلك .

لكن ها هما ذان بعد فراق السنين قد التقيا دون أن يحقق أحدهما شيئًا ذا قيمة حقيقية ، أو إحدى هذه الطموحات الكبيرة التى تلاعبت بخياله ، فى الوقت

الذى لم يتحرر فيه قلبه من حبها على النحو الذى كان يظنه .

عليه أن يعترف أن هذا اللقاء الذى حدث اليوم ، لم يكن هو وحده الذى أهاج ذكرى هذا الحب فى قلبه .

لكنه كان دائمًا يتسلل إلى قلبه ويقتحم عليه فكره ، وإن حاول دائمًا أن يكون أقوى من حنينه إليه .. وأن يهرب من ذكرياته .

وارتسمت الابتسامة على وجهه ، وهو يستعيد ذكرى لقائه الأول بها .

فقد وقف فى ذلك اليوم فى الكلية ، يشرح آراءه لعدد من زملائه بشأن أحد الموضوعات المهمة التى كانت حديث الساعة وقتها .

يومها وجد معارضة شديدة من زملائه لرأيه .

وكانت الوحيدة التى تحمست لما قاله ، وانبرت للدفاع عن هذا الرأى عن قناعة واضحة ..

وأحس بالإعجاب نحوها ، وهو يراها تتحدث بهذا الحماس ، وتنضم إليه فيما قاله .. وهى تقدم من الحجج والبراهين ما عجز هو نفسه عن توضيحه بأسلوب لبق يثير الإعجاب .

كانت هذه هى المرة الأولى التى يراها فيها أو ينتبه لوجودها ، برغم أنها كانت زميلته فى القسم الذى يدرس به .

ومنذ هذه اللحظة نشأت بينهما صداقة قوية ، سرعان ما تحولت إلى علاقة حب حقيقية ، بعد أن تبين كلّ منهما أن أفكاره وآراءه ومشاعره تتقارب كثيرًا مع الآخر .

لكنهما عجزا فى غمرة اندفاعهما وراء عاطفتهما عن مواجهة قسوة الظروف المادية المحيطة بهما .. وجموح طموحهما فى السعى وراء حياة رغدة تتوافر فيها كل أسباب الرفاهية .. فلم يكن هناك مناص من الفراق ، والبحث عن أقصى طريق يمكن من خلاله تحقيق هذه الحياة .

ومنذ أن افترقا وهناك سؤال يلح على عقله وقلبه .. ويعاوده من آن لآخر ..

- هل كان ذلك الطموح الجامح ، أو الطمع فى حياة تختلف تمامًا عن الحياة التى عاشها كل منهما ؛ يساويان التضحية بهذا الحب ؟

وما هى هذه الأشياء الكبيرة التى تحققت فى حياتهما منذ أن افترقا ؟

لا شىء سوى الحصول على وظيفة بأجر لا يكفى إلا للوفاء بمصاريفه الشخصيّة ، وحتى لو تحققت تلك الطموحات الكبيرة التى داعبت خياله .. فهل يمكن أن تغنيه يومًا ما عن المشاعر الجميلة التى عاشها مع (هيام) ؟

قال لنفسه وقد ارتسمت فى عينيه نظرة حزينة :

ـ أظن أن المكاسب التى جنيناها من وراء ابتعاد كل منا عن الآخر كانت مكاسب خيالية ..

فما زلت لا أملك سوى الأحلام .. برغم أننى قد أضعت الحلم الوحيد الذى تحقق فى حياتى .. حلم الارتباط بالإنسانة التى أحببتها .. وارتكز بمرفقيه على حافة الشرفة فى غرفته بالفندق وهو يستطرد قائلاً لنفسه :

ـ على أية حال .. لست الملوم فى ذلك .. فقد كان هذا هو اختيارها هى .. هى التى اختارت أن تنهى ما بيننا .

لكنه عاد ليصحح لنفسه قائلاً :

ـ لا داعى لأن تكذب على نفسك .. فأنت أيضًا كنت مهيئًا لاتخاذ هذا القرار ، وإن لم تملك الشجاعة الكافية التى كانت لديها لمواجهتها به ..

لكن ها هو ذا القدر يدفع بها فى طريقه من جديد .. وكلاهما لم يرتبط بعد بإنسان آخر .

فهل يمكن أن يستعيدا ما فقداه ؟

هز رأسه بشدة وكأنه يحاول أن ينفض عنها هذه الأفكار قائلاً لنفسه :

ـ كلا .. لا داعى لأن أترك نفسى لهذه المشاعر تتسلل إلى مرة أخرى .. فما زلنا نفس الشخصين اللذين افترقا .. وما زالت لدينا نفس الأحلام والطموحات التى لم تتحقق .

حتى لو تنازلنا عن أحلامنا السابقة .. فما زلنا عاجزين حتى عن تحقيق الأحلام البسيطة .

فهأنذا لم أتمكن حتى الآن من تدبير ثمن شقة صغيرة يمكن أن تضمنا بين جدرانها ..

إن ما حدث هو الأفضل لكلينا فى ظل الظروف التى نحياها ، والتى لم نتمكن حتى هذه اللحظة من التغلب عليها .

وفجأة تنبه من شروده وأفكاره على صوت رنين الهاتف داخل حجرته .. فأسرع بمغادرة الشرفة ليتناول سماعة الهاتف ، حيث أخبره موظف الفندق أن لديه مكالمة من القاهرة .

وسمع صوتًا يسأله قائلاً :

- هل أنت (مدحت سالم) ؟

أجابه قائلاً :

- نعم .. من المتحدث ؟

قال محدثه :

- أنا (صلاح عبد العزيز) نائب رئيس المؤسسة التى تعمل بها .

- أهلاً وسهلاً يا فندم .

- ماذا فعلت بشأن الترتيبات الخاصة بحضور (مديحة) هانم إلى (شرم الشيخ) ؟

- لقد تم إعداد كل الترتيبات اللازمة بهذا الشأن .

- وماذا عن رئيس المؤسسة الألمانية مستر (شميت) ؟

- لقد حضر إلى القرية السياحية بالفعل .. وقد حجزت لـ (مديحة هانم) شاليهًا مجاورًا للشاليه الذى ينزل فيه .

- ألم تحاول ترتيب ميعاد بينه وبين (مديحة) هانم ؟

- إننى أنتظر حضورها أولاً .

- لا يوجد ما يدعو للانتظار .. أنت تعرف أنها ستحضر غدًا .. وعليك أن تسبق الأحداث .. وأن تسعى لترتيب لقاء تعارف بينهما .

- حسن .. سأسعى للاتصال به غدًا .

- إن الاتفاق مع هذا الرجل مهم للغاية بالنسبة لنا .. وقد علمت أن (فؤاد الأيوبى) رئيس مؤسسة (الفيروز) ، قد سبقنا فى الذهاب إلى القرية السياحية ، ولا بد أنه قام بمحاولة للاتصال بهذا الرجل قبلنا ..

لذا لابد أن تقدم كل المساعدة اللازمة لـ (مديحة) هانم لكى تفوز مؤسستنا بهذه الصفقة .. وإذا تم ذلك ستحظى بمكافأة كبيرة .

- اطمئن يا فندم .. سأبذل أقصى ما لدى من جهد .

وأغلق (مدحت) سماعة الهاتف قائلاً بسخرية :

- مكافأة .. ترى ما مقدار هذه المكافأة ؟ مائتا جنيه .. خمسمائة .. ألف جنيه ؟

إن الربح الحقيقى هو ذلك الذى سيأتى من وراء صفقة مهمة كهذه .. ربح يقدر بالملايين .. هذه هى المكاسب الحقيقية ..

وهذا هو الثراء الذى يحول كل الأحلام إلى حقائق .. وواقع سعيد .

إنسانة مثل (مديحة صبرى) تحظى بكل شىء .. الشهرة .. السلطة .. المال .. مؤسسة ضخمة .. ومنزل يشبه القصور .. سيارة فاخرة ، بل عدة سيارات .. وفوق ذلك فهى امرأة جميلة .

هذه السيدة لا ينقصها شىء .

صمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ لا ينقصها سوى الحب .. أن تعيش قصة حب تعوضها عن زيجتها الفاشلة .. وأن ترتبط بإنسان ينسيها خيانة زوجها .

بدت عليه ملامح التفكير العميق وهو يقول لنفسه مؤكدًا :

ـ نعم .. هذا هو ما تحتاج إليه الآن .. وهذا ما أستطيع أن أقدمه لها لكى أكون أنا هذا الرجل .

وبدا وكأنه قد اكتشف شيئًا كان غائبًا عن تفكيره ، فأخذ يستطرد محدثًا نفسه :

ـ لو حدث هذا فسوف أكون قد وضعت قدمى على بداية السلم الحقيقى لكل ما كنت أحلم به من قبل .

لماذا لم أفكر فى ذلك من قبل ؟ هذه هى الفرصة الحقيقية التى تأتى للإنسان مرة واحدة فى حياته .. والتى يتعين علىَّ أن أستغلها ..

ليس المهم أن أكسب ثقة صاحبة العمل .. بل يتعين على أن أكسب صاحبة العمل نفسها .. وأن أقنعها بأننى الشخص الوحيد الذى يصلح لأن يكون زوجًا لها بعد فشل زيجتها الأولى .

وما لبث أن نظر فى المرآة قائلاً لنفسه بسخرية :

ـ أنت ؟

لكنه عاد ليحدق فى صورته بالمرآة فى تحدٍ قائلاً :

ـ ولم لا ؟ إننى أمتلك من الطموح ما يكفى لذلك .

إنها برغم صدمتها السابقة فى زوجها ، بحاجة إلى الحب مثلها مثل أية امرأة أخرى .

وبحاجة لأن تستعيد ثقتها بنفسها وبالآخرين .. وهذا ما أستطيع أن أعزف عليه بمهارة .

وابتسم لنفسه وقد أسعدته هذه الفكرة قائلاً :

ـ هل يمكننى أن أحقق ذلك حقًا ؟ وهل أستطيع يومًا ما أن أجد لنفسى مكانًا فى ذلك المكتب الفخم الأنيق ، الذى تدير من خلاله هذه السيدة تلك المؤسسة الضخمة ؟

واستبعد الفكرة من رأسه للحظة قائلاً :

ـ كلا .. إن هذا مجرد خيال جامح .

لكنه عاد ليقول :

ـ بل هو الطريق الحقيقى الذى تكشف لك أخيرًا ؛ لتحقيق كل أحلامك وطموحاتك .

والبداية الحقيقية للوصول إلى نهاية هذا الطريق ، هى أن تكون واثقًا بنفسك وبقدراتك .

استرخى فوق فراشه وهو مستمر فى أفكاره قائلاً لنفسه :

ـ هل يمكننى حقًا أن أجعل امرأة مثلها تحبنى ؟

وعاد ليقول لنفسه بإصرار :

ـ نعم .. ستحبنى وستتزوجنى .

ونهض من فوق فراشه بعد أن استولت عليه هذه الأفكار ، وحالت بينه وبين النوم .

فعاد إلى شرفة الفندق مرة أخرى ، حيث رأى صورة (هيام) تتراقص أمام عينيه من جديد .. وبدأ قلبه يتحرك بين ضلوعه ، ليذكره بمشاعر الحب القديمة .

لكنه أبعد صورتها عن عينيه سريعًا .. وأخمد مشاعر الحب التى تحركت بين جوانحه بنفس السرعة .. لتظل صورة واحدة أمام عينيه .

صورة (مديحة) والمستقبل الذى ينتظره معها .

★ ★ ★



٧ ـ السر ..

وقف (مدحت) يراقبها من بعيد للحظة .. قبل أن يتقدم نحوها فى أثناء جلوسها فى الكافيتريا وهو يبتسم لها قائلاً :

ـ صباح الخير يا (مديحة) هانم .

نزعت (مديحة) منظار الشمس عن عينيها قائلة :

ـ صباح الخير يا أستاذ (مدحت) .

ـ متى وصلت ؟

ـ منذ ساعة تقريبًا .

ـ هل رأيت الشاليه الذى قمت بحجزه لك ؟

ـ كلا .. لقد أرسلت حقائبى إلى هناك فقط .

ـ هل تحبين أن تريه ؟

ـ إن المكان جميل هنا .. وأفضل أن أنتظر قليلاً قبل الذهاب للشاليه .

وأشارت إلى المقعد الذى يجاورها قائلة :

ـ تفضل بالجلوس .

جلس (مدحت) إلى جوارها .. حيث سألته قائلة :

ـ ماذا تشرب ؟

ابتسم (مدحت) قائلاً :

ـ يتعين علىّ أن أسألك هذا السؤال .. فأنا المختص بكل الترتيبات المتعلقة بك هنا .

نظرت إليه لوهلة باستغراب .. لكنها عادت لتقول بلا مبالاة :

ـ على أية حال لقد تناولت قدحًا من الشاى منذ قليل .

ـ هل تناولت طعام الإفطار ؟

تجاهلت سؤاله قائلة :

ـ ماذا فعلت بشأن لقائى مع مستر (شميت) ؟

ـ أريد أن أعرف أولاً إذا ما كنت قد تناولت إفطارك أم لا .

قالت له بشىء من التعالى :

ـ لا داعى للمبالغة فى أداء دورك هنا .. فأنا لم أكلفك بتولى مسئولية إطعامى هنا .. وعلى أية حال أنا غالبًا لا أتناول شيئًا فى الصباح .

والآن هل ستخبرنى بما فعلته بشأن هذه المقابلة ؟

ابتسم (مدحت) قائلاً :

ـ ستلتقين به هذه الليلة .

ـ هل تحدثت إليه ؟

ـ نعم .

ـ ألم يعترض على مقابلتى ؟

ـ لقد اعترض فى البداية .. وقال لى إنه جاء إلى هنا من أجل الراحة والاستجمام .. وليس من أجل العمل .. وأنه يفضل إرجاء هذه اللقاءات وكل ما يتعلق بأمور العمل لحين ذهابه إلى القاهرة .

ابتسمت (مديحة) وقد بدا عليها الارتياح قائلة :

ـ وكيف تمكنت من إقناعه ؟

ابتسم (مدحت) بدوره قائلاً بثقة :

ـ هذا سر المهنة .

تبدلت ابتسامتها إلى تقطيبة صغيرة ظهرت على جبينها ، وهى تقول له ، وقد أدهشها أسلوبه فى الحديث إليها :

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أن تتركى هذه الأمور التفصيلية لى دون أن تشغلى تفكيرك بها .

ـ بالطبع ستصحبنى لتترجم الحديث الذى سيدور بيننا .

ـ هذا هو عملى الأساسى .

ـ هل عرفت أى شىء بخصوص لقاء رئيس مؤسسة (الفيروز) به ؟

ـ اطمئنى يا هانم .. لم يحدث أى لقاء بينهما حتى الآن .

ـ ولكن علمت أنه جاء إلى (شرم الشيخ) منذ يومين .

ـ لقد أخبرنى (صلاح) بك بذلك .. لكنه لم يستطع أن يلتقى به برغم ذلك .

ـ وكيف علمت بذلك ؟

ـ أجريت بعض التحريات التى أكدت لى ذلك .. ولا أظن أن لقاءهما سيكون مجديًا خاصة فى الآونة الحالية .

نظرت إليه (مديحة) بدهشة قائلة :

ـ ماذا تعنى بذلك ؟

ـ لقد تمكنت من إبعاد المترجم الذى أحضره معه بوسيلة ما .. وإقناعه بمغادرة القرية السياحية هنا .

ـ كيف استطعت أن تفعل ذلك ؟
ابتسم قائلاً :
ـ ألم أقل لك إن هذا هو سر المهنة ؟ إن لى وسائلى الخاصة فى هذا الشأن .
ـ لكنى لا أحب الوسائل الملتوية .
ـ المهم أن ننجح فى الاتفاق مع الرجل قبل أن يتفق معه سوانا .
نهضت قائلة :
ـ حسن .. أظن أنه يتعين على أن أستريح قليلاً قبل أن ألتقى بمستر (شميت) ..
ـ هل تحبين أن أرافقك حتى الشاليه ؟
ـ لا داعى لذلك .. فأنا أعرف مكانه .. المهم أن تكون جاهزًا للذهاب معى .
ـ سأتصل بك قبل الموعد المحدد بساعة .
وما إن انتهى (مدحت) من توديعها حتى لمح (هيام) وهى تتحدث إلى أحد السائحين الألمان .. فاقترب منها قائلاً ؟
ـ صباح الخير يا (هيام) .
نظرت إليه بارتباك قائلة :

ـ صباح الخير يا (مدحت) .
ـ يبدو أنك مشغولة بالعمل اليوم .
ـ إننى سأرافق الفوج السياحى فى جولة قصيرة داخل القرية .. هل تحب أن تأتى معنا ؟
هزّ كتفيه قائلاً :
ـ ولم لا ؟ إننى لست مشغولاً طوال النهار .
صاحبها (مدحت) خلال الجولة التى قامت بها برفقة السائحين الألمان . حيث أبدى إعجابه الشديد بلباقتها وقدرتها على الشرح على نحو أثار إعجاب السائحين ، وأحدث نوعًا من الألفة بينهم وبينها .
وانتهز فرصة انشغال السائحين الألمان بالسباحة والرقود على شاطئ البحر الذى تطل عليه القرية السياحية ، ليقترب من (هيام) قائلاً :
ـ إنك تقومين بعملك على أكمل وجه .
سألته قائلة :
ـ هل هناك أى أخطاء فى اللغة ؟
ـ إنك تجيدين الألمانية كما لو كنت قد نشأت فى ألمانيا .
سألته قائلة :

ـ من هذه السيدة التى كنت تتحدث معها اليوم ؟

ابتسم قائلاً :

ـ لم أكن أظن أنك قد رأيتنى .

ـ هل تجد فى سؤالى تطفلاً ؟

ـ مطلقًا .. إنها رئيستى فى العمل .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ رئيستك فى العمل .. هل هذه ؟

ـ نعم .. إنها صاحبة المؤسسة التى أعمل بها .

ـ لكنها تبدو صغيرة إلى حد ما للقيام بأعباء مسئولية ضخمة كهذه .

ـ لقد ورثت هذه المؤسسة عن أبيهـا .. ومـع ذلك فهى تديرها على أكفأ وجه .

ـ يبدو أنك تحمل لها تقديرًا كبيرًا .

ـ لا أستطيع أن أنكر أننى معجب بها .

سألته فجأة قائلة :

ـ لماذا لم تتزوج حتى الآن ؟

ابتسم مرددًا إجابتها السابقة :

ـ لأننى لم أجد المرأة التـى تتناسـب مـع طموحاتى بعد .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً :

ـ لكنى أعتقد أننى سألتقى بها قريبًا .

ـ لابد أنك قد وجدتها إذن .

ـ نعم .. وجدتها .

ـ هل يمكننى أن أعرفها ؟

وضع إصبعه على شفتيه قائلاً لها :

ـ كلا .. هـذا سـر .. وعلى أيـة حـال ستعرفينها قريبًا .

★ ★ ★



٨ ـ قناع امرأة ..

بدت (مديحة) راضية تمامًا عن اللقاء الذى تم بينها وبين مستر (شميت) وعبرت عن رضائها هذا فى أثناء عودتها إلى الشاليه وهى بصحبة (مدحت) قائلة :

ـ أظن أننا قد نجحنا إلى حد ما فى إقناع الرجل بأننا الأفضل .

قال لها (مدحت) بتواضع :

ـ الفضل فى ذلك يعود إليك يا سيدتى .. فقد شرحت له المميزات التى يمكن أن يحصل عليها من تعامله مع مؤسستنا بطريقة بارعة .

ـ أنت أيضًا أبديت بعض الملاحظات كانت بالنسبة لى غاية فى الأهمية .. فضلاً عن إجادتك للألمانية بطريقة لم أتوقعها .. ثم إنك استطعت اكتساب صداقة الرجل بطريقة لم أتوقعها .

ـ لقد كان هذا أمرًا مهمًا بالنسبة لى حتى يمكننا أن ننجح فى إقناعه بما نريد .

قالت له وقد بدأت تشعر ببعض الألفة نحوه :

ـ هل تظن أنه سيفضلنا على غيرنا من المؤسسات والشركات الأخرى ؟

ـ أظن أنك قد نجحت فى إقناعه بصفة مبدئية .. بأنك تقدمين له أفضل العروض .

ـ لا أظن أن هذا كاف .. فنحن لا نعرف ما الذى يمكن أن يقدمه له الآخرون .. من عروض .. خاصة (فؤاد الأيوبى) رئيس المؤسسة المنافسة لنا .

ابتسم (مدحت) قائلاً :

ـ أظن أنه مشغول الآن بالبحث عن مترجم يساعده على التحدث إلى مستر (شميت) .

قالت له (مديحة) بجدية :

ـ لابد أنه سيجد هذا المترجم .. إن لم يكن قد أحضره بالفعل .. فذلك لن يشكل بالنسبة له مشكلة .. كما أننى أظن أن شخصًا مثل مستر (شميت) يمتلك مؤسسة عالمية ضخمة لابد أنه يجيد لغة أخرى بجانب لغته الأصلية .. كالإنجليزية مثلاً .. على نحو يمكن (فؤاد الأيوبى) من التفاهم معه .

إن شخصًا مثل (فؤاد الأيوبى) لن يضيع وقته وسيسعى للاتفاق مع الرجل بأيَّة وسيلة .

ـ إذن يتعين علينا أن نلاحق الرجل ونحاصره حتى نفوز بهذا الاتفاق .

ما رأيك لو دعوته باسمك غدًا على العشاء ؟

ـ اقتراح جيد .. أنا موافقة .. اتفق مع المسئولين هنا فى القرية على إعداد عشاء فاخر يليق بالرجل ، ولا تبخل بشىء فى سبيل ذلك .

ـ اطمئنى يا فندم .. سأتصل بمستر (شميت) أولاً لتوجيه الدعوة له .. ثم أقوم بترتيب كل شىء .

ـ هل أنت واثق بأنه سيقبل دعوتنا ؟

ـ اعتبرى أنه قد قبلها بالفعل .. قلت لك اطمئنى وأنا كفيل بتدبير كل ما تحتاجين إليه .

ـ حسن .. والآن سأذهب لأستريح فى الشاليه الخاص بى .

نظر (مدحت) إلى ساعته قائلاً :

ـ فى هذه الساعة المبكرة ؟

ـ إننى بحاجة إلى النوم .

ـ لكننا ما زلنا فى بداية الليل .. والمكان هنا رائع يتعين على المرء أن يستمتع بكل لحظة فيه .

نظرت إليه باستغراب قائلة :

ـ إذن .. ماذا تقترح ؟

قال لها متلعثمًا :

ـ لقد كنت أود .. أعنى .. لا .. لا أظن أنك ستوافقين .

قالت له بعصبية :

ـ أوافق على ماذا ؟ لماذا لا تقول ما تريده على الفور دون مماطلة .

ـ لقد فكرت .. أنه .. يمكننى أن أوجه لك دعوة متواضعة لتناول العشاء معى فى مطعم الفندق المطل على البحر .

نظرت إليه باستخفاف قائلة :

ـ تدعونى للعشاء ؟ أنت ؟

قال لها بغضب وقد تبدلت ملامحه ؟

ـ آسف يا سيدتى .. أعلم أننى أعمل موظفًا لديك .. وربما أكون قد تجاوزت الحدود .. لكن لم أكن أعتقد أنك ستستخفين بى على هذا النحو .. وعلى أية حال تصبحين على خير .

تركها واقفة فى مكانها وانصرف .. فأحست بالذنب للحظة لأنها أحرجته على هذا النحو .

وعندما ذهب إلى حجرته ؛ تملكه إحساس بالغضب ؛ لأنها عاملته كما لو كان شيئًا نكرة لا يستحق حتى أن يوجه لها دعوة للعشاء .. وأحس بمهانة شديدة .. جعلته يفكر فى مغادرة القرية ، والاستقالة من العمل والتخلى عن كل شىء . لكنه سرعان ما سيطر على غضبه واستعاد هدوئه قائلاً :

ـ لا .. أيها الغبى .. لا تدع الغضب يحلّ بينك وبين الهدف الذى تسعى إليه .. لا تستسلم منذ البداية . فليس بهذه الطريقة تتحقق الطموحات والآمال .

عليك بالصبر .. والهدوء .. والإصرار إذا أردت أن تنال ما تريده ..

وفى تلك اللحظة كانت (مديحة) جالسة داخل الشاليه الخاص بها ، دون أن تبدل ثيابها بعد .. وقد أخذت تؤنب نفسها على ما بدر منها من تصرف تجاه ذلك الشاب .

واندهشت من نفسها لهذا الإحساس الذى يثقل على نفسها .

فقد تعودت أن تتصرف هكذا أحيانًا مع بعض العاملين لديها ، دون أن تؤنب نفسها على هذا النحو .

بل لولا هذه الجدية والصرامة التى تدير بها الأمور ، لما استطاعت أن تحكم السيطرة على مؤسسة ضخمة كتلك التى تديرها .

وهذا الشاب يتصرف معها أحيانًا كما لو كان ندًا لها ، وليس موظفًا يعمل لديها .. لذا كان يتعين عليها أن توضح له حدوده التى يتعين عليه ألا يتجاوزها .. فما معنى أن يدعوها للعشاء ؟ ومن هو ليوجه لها دعوة كهذه ؟

وعادت لتراجع نفسها قائلة :

ـ كلا .. أعتقد إننى كنت قاسية أكثر مما يجب .. وأننى قد بالغت فى معاملته بهذا الأسلوب .. ربما أراد أن يعبر عن تقديره لى .

ثم .. ثم إننى بحاجة إليه فى هذه المرحلة .. وليس من المناسب أن أتركه يحمل لى ضغينة فى نفسه .

لقد سببت له حرجًا شديدًا بتصرفى هذا ، ويتعين على أن أعالج الأمر ..

حاولت أن تقنع نفسها بأن ما تفعله لصالح العمل ، وينطوى على شىء من حسن التصرف والسياسة ، التى يجب أن يتحلى بها أصحاب العمل فى التعامل مع

مرءوسيهم ، وهى ترفع سماعة الهاتف لتطلب الاتصال به فى حجرته .

اندهش (مدحت) عندما سمع صوتها على الهاتف فهتف قائلاً :

- (مديحة) هانم ؟

- أما زالت دعوتك لى على العشاء قائمة ؟

- بلى .. إذا لم يكن فى ذلك تجاوز للحدود .

- حسن .. وأنا قد قبلت دعوتك .

صمت برهة وهو لا يصدق نفسه .. فقالت له :

- لماذا سكت ؟ هل تريد أن تتراجع ؟

- بالعكس يا فندم .. إنه شرف لى أن تقبلى دعوتى لك على العشاء .

- إذن سأحضر إلى المطعم فى الثامنة مساء .

- سآتى بنفسى لأصحبك ..

قاطعته قائلة وكأنها تحاول أن تعيد الأمور إلى نصابها .

- بل ستنتظرنى هناك .. وسوف نتحدث معًا بشأن الخطوة التالية التى سنتخذها مع مستر (شميت) .

قال لها (مدحت) قبل أن يضع سماعة الهاتف :

- أشكرك لقبولك دعوتى وعدم تقليلك من شأنى .. وأنا تحت أمرك فى الحديث عن أى شىء تريدينه .

★ ★ ★

قال له وهى جالسة معه على المائدة ، بينما عيناها ترقبان قاعة الرقص :

- إنك لم تخبرنى أن هذا المطعم يشمل مرقصًا أيضًا .. إن هذا المكان يشبه ملهى ليليًّا وليس مطعمًا محترمًا .

قال لها (مدحت) مستنكرًا .

- وهل ظننت أننى يمكن أن أدعوك إلى مكان غير لائق ؟

إن قاعة الرقص التى ترينها أمامك تقدم مقطوعات موسيقية هادئة وناعمة .. والرقص الذى يدور هنا من نفس النوعية ، ويقتصر على رواد المطعم فقط .. أعنى الراغبين من رواده فى الرقص ..

أحست أنها مشدودة الأعصاب لجلوسها معه ، برغم أنه لم يكن يوجد ما يدعو لذلك .

ولاحظ ما تبدو عليه من توتر فسألها قائلاً :

- (مديحة) هانم .. هل يوجد ما يضايقك ؟

قالت له وهى تعتدل فى جلستها :

ـ هه ؟ لا .. لا يوجد ما يدعو للضيق .

ـ إذن لم لا تأكلين ؟

قالت له وهى تتناول الشوكة والسكين :

ـ آه .. سآكل .

ـ إذا كان الأكل لا يعجبك ..

ـ كلا .. إنه جيد ..

نظر إليها (مدحت) مليًا .. ثم ما لبث أن وجد فى نفسه الجرأة ليمد يده وينزع المنظار ذا العدسات الطبية عن عينيها قائلاً :

ـ أظن أنك لست بحاجة إليه .

نظرت إليه باستغراب واستنكار شديد لتصرفه هذا .. لكنه لم يمنحها فرصة لتقول شيئًا .. بل أردف قائلاً :

ـ إن عينيك أجمل بدون منظار .

كان تصرفه مباغتًا على نحو أعجزها عن أن تقول شيئًا .. لكنها سرعان ما همت بالتعبير عن غضبها قائلة :

ـ ما هذا ؟ كيف تسمح لنفسك ..

لكنه قاطعها قائلاً :

ـ (مديحة) هانم .. ألا يمكنك أن تنسى لبعض الوقت أنك سيدة أعمال ، وأنك تجلسين مع مرءوسك ؟

قالت له وهى تعيد المنظار إلى مكانه فوق عينيها :

ـ كان يتعين عليك أنت ألا تنسى ذلك .. لكن يبدو أننى قد تهاونت معك ، إلى حد أنك ..

قاطعها مرة أخرى قائلاً :

ـ إلى حد أننى لم أر أمامى فى هذه اللحظة سوى امرأة جميله ، تصر على إخفاء جمالها وراء هذا القناع المتجهم وذلك التعالى غير الحقيقى .. والخشونة الزائفة .

ـ لا تظن أن مصاحبتك لى هنا تعطيك الحق فى أن تلغى كل الرسميات والفوارق التى توجد بيننا .. إننى أستطيع ..

قاطعها للمرة الثالثة :

ـ أن تعيدينى إلى القاهرة .. بل وتفصلينى من العمل .. لكننى لا أرى أننى فعلت شيئًا يستحق منك كل هذا .. إننى لم أتجاوز حدود اللياقة عندما قررت أن أتجاسر وأدعوك للعشاء .

ولم أرتكب جرمًا لأننى أردت أن تنزعى هذا المنظار الذى يخفى جمال عينيك .

وطلبت منك أن تخففى عن نفسك قليـلاً عبء هذه الصرامة وتلك الجدية .

هبت واقفة وهى تستعد لمغادرة المائدة .. لكنه استوقفها قائلاً :

ـ هل أعد حقيبتى للعودة إلى القاهرة ؟ وأعد أيضًا قرار استقالتى .

لم تقل شيئا بل أدارت له ظهرها وانصرفت ..

لكنه لحق بها ليسد عليها الطريق قائلاً :

ـ أرجوك لا تنصرفى قبل أن تخبرينى بقرارك الآن .

نظرت إليه لبرهة ، وقد بدت وكأنها تفكر فيما يتعين عليها أن تقوله .

وأحست بالدهشة لأن مشاعر الغضب التى اجتاحتها منذ لحظة قد استكانت سريعًا .. ووجدت نفسها تقول له :

ـ عندما أريد أن أفصلك من العمل فسوف أخبرك أنا نفسى بذلك .

ـ إذن فأنت تريدين أن أستمر فى العمل بشركتك .

قالت له وهى تحدق فيه بنظرة صارمة :

ـ نعم .

ـ وأن أواصل عملى معك هنا ؟

ـ نعم .

ـ لكننا لم نتحدث فيما يتعين علينا أن نفعله غدًا مع مستر (شميت) .

ـ أنت لن تعمل شيئًا سوى أن تترجم لى ما يقوله وتترجم له ما أقوله أنا :

هذا هو كل ما يتعين عليك أن تفعله ، أما ما عدا ذلك فهو من اختصاصى أنا .

ـ لكننا لم نتفق على ذلك .. وأنا لست مترجمًا فقط .. بل عملى الأساسى هو العلاقات العامة .. وهذا هو دورى هنا .

ـ يا أستاذ (مدحت) .. هل تخبرنى بما يتعين علىّ أن أكلفك به من عمل ، وما يتعين ألا أكلفك به ؟

ـ أنا آسف لأننى أفسدت عليك عشاءك وجعلتك عصبية هكذا .

قالت له وقد عاودها الانفعال :

ـ من قال لك إننى عصبيَة .

ـ إذن هل يمكننا أن نعود لاستكمال عشائنا ؟ ونتحدث معًا بهدوء ودون انفعال ؟

نظرت إليه للحظة ، وقد همت بأن ترفض دعوته وتنصرف .. لكنها وجدت نفسها تعود معه مرة أخرى إلى المائدة وهى تستجيب لما طلبه منها .

★ ★ ★



٩ ـ مشاعر امرأة ..

وقفت (مديحة) تتأمل نفسها أمام المرآة للحظة ، وهى تستعيد تلك الكلمات التى قالها (مدحت) هذه الليلة عن جمالها المختفى خلف مظهر سيدة الأعمال .. وجمال عينيها ، التى يجب عليها أن تحرره من ذلك المنظار .

وما لبثت أن أولت ظهرها وكأنها تستخف بتلك الأفكار التى تراودها فى هذه الليلة .

لكنها عادت لتقف أمام المرآة مرة أخرى ، وقد نزعت المنظار عن عينيها ..

ثم أسدلت شعرها ليتهدل فوق كتفيها ، وقد أخذت تدقق النظر هذه المرة قائلة لنفسها .

ـ نعم .. لماذا أهمل أنوثتى على هذا النحو ؟ إنه على حق .. فبدون هذا المنظار وذلك الشعر المعقوص .. أبدو ..

لكنها عادت لتحول نظرها بعيدًا عن المرآة قائلة بعصبية :

- كلا .. إن كل هذا سخيف .. ولا يتعين على أن أشغل نفسى بهذه المشاعر البلهاء .

لكن هل حقًا جعلنى العمل أنسى أنى امرأة ؟ كلا ليس العمل فقط .. إنها التجربة القاسية التى عشتها مع (منير) .

لقد جعلتنى ألقى بكل هذه المشاعر وراء ظهرى .. وأكره حتى كونى امرأة ، لكن إلى متى ؟ السنون تمر .. وهذه الملامح التى يراها البعض ما زالت تحتفظ ببعض جمالها ستذبل مع مرور الأيام .

حقًا .. إننى أحقق نجاحًا كبيرًا فى عملى .. بل أنتقل من نجاح إلى نجاح .

لكن .. ما فائدة كل هذا .. وأنا أشعر بأننى مفتقدة إحساسى كامرأة ؟ امرأة من حقها أن تحب وأن تحب .

إننى .. أنثى .. إننى أفكر بطريقة غريبة هذه الليلة .

ما قاله هذا الشاب أيقظ فى نفسى أحاسيس ظننت أنها قد ماتت .. ولم يعد لها وجود فى حياتى .

★ ★ ★

انشغلت (هيام) بالحديث مع إحدى السائحات الألمانيات حينما وجدت شخصًا يقترب منها قائلاً :

- هل تسمحين يا آنسة ؟

نظرت إليه باستغراب قائلة :

- أى خدمة ؟

قال لها الرجل :

- (فؤاد) بك يرغب فى التحدث معك قليلاً .

- ومن هو (فؤاد) بك هذا ؟

أجابها الرجل قائلاً :

- (فؤاد بك الأيوبى) رجل الأعمال المشهور .. وصاحب شركة (الفيروز) للسيراميك وأدوات الحمام .

قالت له (هيام) وقد ازدادت دهشتها :

- وما الذى يريده منى ؟

قال لها الرجل :

- فى الحقيقة لا أعرف .. لقد طلب منى فقط أن أصحبك لمقابلته فى الكافيتريا ، لأنه يريد التحدث معك .

- آسفة .. إننى لن أذهب لمقابلة أحد .

قال لها الرجل مرتبكًا :

- ولكن ..

ـ من فضلك .. لدى عمل أقوم به الآن .. لو كان هذا الشخص الذى أرسلك يريد شيئًا محددًا فليخبرك به .. أو ليأتى هو بنفسه ليخبرنى بما يريد .

وعادت (هيام) للتحدث مع السائحة الألمانية ، حيث وجدت شخصًا يتميز ببنيان قوى ووسامة رجولية ، برغم أنه يبدو فى الخمسين من عمره تقريبًا .

كان يضع سيجارًا غليظًا بين شفتيه لم تسترح لدخانه وهو يتقدم نحوها مباشرة .

نظر إليها قائلا :

ـ (فؤاد الأيوبى) .

ـ تشرفنا يا فندم .

ـ هأنذا قد جئت إليك بنفسى .

ـ لقد أخبرنى ذلك الشخص الذى أرسلته لى أنك ترغب فى مقابلتى والتحدث إلىّ .

ـ نعم .. ما رأيك لو جلسنا معًا لبعض الوقت بجوار حوض السباحة ؟

قالت له (هيام) مترددة :

ـ ولكن ..

قال لها وهو يضع السيجار بين أصبعيه ليبعد دخانه عنها بعد أن لاحظ تبرمها به :

ـ لقد جئت إليك كما طلبتِ .. ولا أظن أنه يمكننا التحدث ونحن واقفان هكذا .

اعتذرت (هيام) للسائحة الألمانية ، وسارت معه إلى إحدى الموائد المحيطة بحوض السباحة .

سألها قائلاً :

ـ ماذا تشربين ؟

ـ متشكرة .. أفضل الدخول فى الحديث مباشرة .

قال لها وهو يطفىء سيجاره :

ـ وأنا أيضًا .. لقد شاهدتك بالأمس وأنت تصحبين هؤلاء السائحين الألمان فى جولة داخل القرية .. ووجدت أنك تتحدثين الألمانية بطلاقة .

ـ هذا عملى .

ـ أعلم ذلك .. فقد أجريت بعض التحريات السريعة عنك وعرفت أنك قد درست اللغة الألمانية ، وأنك تعملين لحساب إحدى الشركات السياحية .. وتقومين بدور المرشدة السياحية لهذه المجموعة من السائحين .

ـ هل يمكننى أن أعرف سر اهتمامك بجمع كل هذه المعلومات عنى ؟

ـ لأننى بكل بساطة أبحث عن شخص يجيد اللغة الألمانية إجادة تامة لكى يعمل لدى .. وقد وجدت أنك تستطيعين القيام بهذا العمل بصورة جيدة .

ـ لكنى مرتبطة بالعمل بالفعل لحساب الشركة السياحية التى أوفدتنى إلى هنا ..

ـ سأدفع لك ضعف المرتب الذى تحصلين عليه من الشركة السياحية .

ـ إن الأمر لا يتعلق بالمرتب .. ولكن ..

قاطعها قائلاً :

ـ إننى فى ورطة .. فقد جئت إلى هنا لإجراء محادثات مهمة مع أحد رجال الأعمال الألمان .. لكن المترجم الذى كان من المفترض أن يصحبنى اختفى فجأة ولم أتمكن من العثور عليه .

ولو لم أجد من يساعدنى على التحدث مع هذا الرجل الألمانى فسوف يتسبب هذا فى خسارة كبيرة لى .

لذا فأنا بحاجة لشخص مثلك لمساعدتى فى هذا الأمر .

ـ لكننى مرتبطة بعمل هنا .

ـ سأعوضك عن هذا العمل ..

ـ وكيف أترك هؤلاء السائحين الذين حضرت معهم إلى هنا ؟

ـ اتصلى بالشركة التى تعملين بها .. واطلبى منهم أن يرسلوا أحدًا غيرك .

قالت له باستنكار :

ـ بهذه البساطة ؟

ـ أستطيع أنا أن أتصل بهذه الشركة لأدبر هذا الأمر .

ـ ولماذا لا تستعين بأى شخص آخر سواى ؟ لابد أن هناك غيرى كثيرين يمكنهم أن يساعدوك فى القيام بمهمة الترجمة .

ـ لقد سألت فلم أجد من هو أفضل منك هنا .. ثم إن وقتى ثمين ولا أستطيع أن أنتظر إحضار شخص آخر من القاهرة .

ـ لكنى أحب عملى فى الشركة ولا أرغب فى تركه .

ـ حسن .. إذا كنت تريدين الاستمرار فى عملك بالشركة فلا بأس . ولكن أظن أنك تستطيعين أن تخصصى لى بعض الوقت فى أثناء لقائى بهذا الألمانى .. وسوف أدفع لك مقابلاً مجزيًا لقاء هذا .

صمتت (هيام) برهة وهى تفكر .. ثم قالت :

ـ دعنى أفكر .

ـ لا وقت للتفكير .. فلابد أن أتحدث إلى الرجل هذه الليلة .. خاصة وأن منافسىَ استطاعوا أن يسبقونى ويلتقوا به بالفعل .

نظرت إليه باستغراب قائلة :

ـ منافسوك ؟!

ـ نعم .. هذه قصة أخرى سوف أشرحها لك فيما بعد .. المهم هل أنت موافقة ؟

لم تدر بم تجيب .. فقد بوغتت بهذه التطورات السريعة والمتلاحقة على نحو لم يدع لها فرصة للتفكير .. فتلعثمت قائلة :

ـ فى الحقيقة .. أنا ..

لكنه قاطعها قائلاً بحسم :

ـ حسن ، سأعتبر هذه موافقة .. استعدى لتصحبينى لمقابلة الرجل هذه الليلة .

★ ★ ★

١٠ ـ المعادلة ..

تطورت الأحداث بشكل غير متوقع خلال الأيام التالية .. فقد وجدت (مديحة) نفسها منصرفة عن الاهتمام بالموضوع الرئيسى الذى جاءت من أجله إلى (شرم الشيخ) ، لتستغرقها مشاعر ظنت أنها غير موجودة فى حياتها .

فقد تمكن (مدحت) خلال فترة وجيزة ، أن يوقظ لديها أحاسيس الأنثى ، وأن يهز هذه المشاعر من سباتها .

إنها لا تعرف كيف استطاع هذا الشاب أن يجعلها تتعلق به هكذا ؟

وأن تنساق وراء عاطفة تبدو غير متكافئة من كل النواحى ؟

كل ما تعرفه هو أنها استعادت شيئًا كان مفقودًا فى حياتها .. شيئًا أحياه هذا الشاب بعد موته .

إن الأحاسيس الجميلة ولحظات السعادة لا تقدر بثمن .. وقد حرك (مدحت) هذه الأشياء فى نفسها ،

وجعلها تشعر بسعادة من نوع خاص ، تعجبت هى نفسها كيف حرمت نفسها منها ؟

وها هى ذى قد تخلصت من المنظار الذى كانت تضعه على عينيها .. وأخذت تهتم بمظهرها على نحو مختلف .

إنها تستطيع الآن أن تضحك وتلهو .. كما كانت تفعل منذ عشرين عامًا مضت .. وقد جعلها (مدحت) بما أحاطه بها من حب وحنان ، تسترد الفتاة المرحة اللاهية التى فقدتها .. منذ أن تلقت الصدمة الأولى فى حياتها ، بخيانة زوجها لها .. ثم وفاة أبيها .. وتحملها لعبء مسئولية إدارة مؤسسة ضخمة كهذه فوق كاهلها .

لقد تبدلت شخصيتها منذ هذا الوقت البعيد .. وأصبحت إنسانة أخرى مختلفة .. إنسانة كهلة وهى فى سن الشباب .. إنسانة يخشاها الآخرون ويعاملونها بكل تقدير واحترام .. كما يعملون لها ألف حساب ، دون أن يمنحها أحدهم الحب الذى كانت بحاجة إليه أكثر من أى شىء آخر للتغلب على أزمتها .

حتى (صلاح) كان يحاول التودد إليها ويطلب الزواج منها ، وفقًا لحسابات ومصالح مادية وليس أكثر من ذلك .

فقد كان كل همه أن يقاسمها هذه الشركة أكثر من أن يقاسمها مشاعرها وحياتها .

لم يحاول مرة واحدة أن يتحدث إليها كامرأة لها مشاعر وأحاسيس .. بل كان يحدثها دائمًا عن الفوائد التى يمكن أن تعود عليهما وعلى الشركة من وراء هذه الزيجة .. بحسابات مادية وعقلانية بحتة .

أما (مدحت) .. فقد جعلها تنسى كل شىء إلا أنها امرأة استيقظ قلبها من سباته ..

أما (مدحت) فقد أدرك أنه استطاع أن يصل إلى قلب (مديحة) بأسرع مما دبر لذلك .

وبدا له أنه يسير فى الطريق الصحيح الذى حدده لنفسه من قبل .

وأن أحلامه قد أصبحت قريبة المنال على نحو لم يتوقعه .

كان تقديره صحيحًا .. فليس هناك أسهل من التأثير على مشاعر المرأة المحرومة من الحب ، والمصدومة فى مشاعرها .

لقد حاصرها خلال أيام قليلة بكلمات الإعجاب ، ومشاعر حنونًا جارفة لم تكن لتقوى على مقاومتها .

واستطاع أن يقنعها بأن تقديره لها كامرأة تستحق أن تُحب وأن تنال الإعجاب ؛ لا يقل عن تقديره لها كسيدة أعمال ، وصاحبة مؤسسة صناعية ضخمة .

وسرعان ما انهارت مقاومتها .. وانهار معها ذلك المظهر الجاد .. والشخصية العملية الصارمة ، وكافة الحصون التى كانت تستخدمها لإخفاء ضعفها .. وحاجتها الشديدة إلى هذه المشاعر الإنسانية التى حرمت منها فى سن مبكرة .

وقرر (مدحت) أن يطرق على الحديد وهو ساخن .. وأن يستمر فى تمثيل دوره بمنتهى الإتقان والإخلاص ؛ حتى ينجح فى الارتباط بهذه السيدة التى ستفتح أمامه بوابة الأحلام .

أطلق (مدحت) صفيرًا عاليًا وهو يحدق بها وقد أقبلت نحوه قائلاً :

- يا له من ثوب رائع ! إنه يزيدك سحرًا وجمالاً بأكثر مما أنت عليه .

تضرج وجهها بالاحمرار وقد أطرقت خجلاً قائلة :

- أرجوك يا (مدحت) .. لا تحرجنى !

ابتسم قائلاً لنفسه :

- من يقول إن هذه السيدة التى يتضرج وجهها بالاحمرار أمام كلمة إعجاب ، هى نفسها سيدة الأعمال التى تدير مؤسسة صناعية كبيرة ؟!

نظر إليها وهو يحتويها بعينيه قائلاً :

- (مديحة) ..

ثم استدرك قائلاً :

- هل تسمحين لى أن أدعوك باسمك مجردًا دون ألقاب ؟

قالت له وهى تبتسم بدلال :

- إنك تزداد جرأة يومًا بعد يوم .

- أرجو أن تغفرى لى جرأتى .. لكن أصبح من العسير على الآن ، أن أتعامل معك كما يتعامل مرءوس مع رئيسته .. خاصة مع ما أحمله لك من مشاعر عجزت عن إخفائها .

- ألا ترى أنك تبالغ قليلاً ؟ حتى لو تغاضيت عن وضع كل منا كرئيس ومرءوس ؟ أو كسيدة تكبرك فى العمر .. فنحن لم نلتق إلا منذ بضعة أيام فقط .. وقد جمعتنا ظروف العمل على نحو ..

٨ - ٥ (٦٦) قلوب حائرة

قاطعها قائلاً :

- من قبل أن نلتقى .

نظرت إليه باستغراب بينما استطرد قائلاً :

- من قبل أن نلتقى وأنا أحمل لك هذه المشاعر العميقة .. كنت أرقبك من بعيد وأنت تأتين إلى الشركة .. كما لو كنت حلمًا جميلاً .

لكنه حلم يصعب علىّ تحقيقه .. سدود كبيرة كانت تفصل بينى وبينك ، وأحاسيس مبهمة كانت تقربنى إليك .

حقيقة لم أكن أدرى سر هذا الإحساس القوى الذى يشدنى إليك .

لكنى كنت أقول لنفسى فى النهاية .. أين هى ؟ وأين أنت ؟

وعندما أحسست بعجزى عن تخطى هذه السدود التى تفصل بينى وبينك قنعت بالاكتفاء بالحلم .. الحلم الذى يجعل إنسانًا مثلى يتصور أن امرأة مثلك يمكنها أن تبادله عاطفته القوية نحوها ، وفى الأحلام وحدها تنهار كل السدود .

لكنك جعلتنى أقترب من حلمى بأكثر مما تخيلت ، حينما اخترتنى وحدى دون بقية العاملين فى مؤسستك لكى أصحبك إلى هنا .

وجدت نفسى قريبًا منك .. من حلمى المستحيل .. وكان من الظلم أن أقاوم أحاسيسى أكثر من ذلك .. فوجدت نفسى أطلق العنان لمشاعرى ، بعد أن عجزت عن مقاومتها .

(مديحة) .. يمكنك أن تفصلينى من العمل لو أردت .. أو تطردينى حالاً من هذا المكان .. لكن هذا لن يمنعنى من أن أقول لك إننى أحبك .

صمتت وهى تنظر إليه ، وقد عجز لسانها عن أن يقول شيئًا .

بينما أدرك هو من خلال ذلك التعبير الذى ارتسم على وجهها أنه قد أحدث التأثير المطلوب .

وبعد بضعة أيام كانا قد اتفقا على الزواج بمجرد العودة إلى القاهرة .

لقد تمكن (مدحت) من الاستحواذ على مشاعر سيدة الأعمال ، التى عاد قلبها ليخفق من جديد .

وبدأ (مدحت) يتخيل نفسه جالسًا فى ذلك المقعد داخل الحجرة التى تدار من خلالها هذه المؤسسة الضخمة .

تلك المؤسسة التى كان أحد العاملين بها ، وها هو ذا فى طريقه لأن يصبح شريكًا فى ملكيتها .

لكن برغم ذلك لم يكن (مدحت) سعيدًا تمامًا ، باقترابه تدريجيًا من تحقيق حلم الثراء الذى عاش دائمًا يحلم بتحقيقه ..

فهو لم يسترح مطلقًا للأسلوب الذى وجد نفسه مضطرًا للجوء إليه ، من أجل الوصول إلى أهدافه .

ولم يستطع أن يقنع نفسه تمامًا بأن هذا هو الأسلوب الأمثل .. أو يتغلب على هذا الإحساس الثقيل بالذنب ، وهو يرى نفسه يتلاعب بمشاعر إنسانة عظيمة مثل (مديحة) .. ويستغل عاطفتها نحوه بهذا الأسلوب .

يجب أن يعترف بأنه يمثل دور المخادع .. وأنه يكره هذا الدور الذى يمثله . برغم أنه يجيده .

خاصة وأن الفترة التى عرف فيها (مديحة) برغم قصرها زادت من احترامه وتقديره لها .. كما جعلته يحمل لها قدرًا من العاطفة لا يمكن إنكاره .

لكنها ليست عاطفة حب حقيقى كتلك التى عرفها مع (هيام) .. وبرغم ذلك فهو لم يتورع عن استغلال مشاعرها ، بعد أن صدقت أقاويله وأسلمت له قلبها .

وبرغم يقظة الضمير التى كانت تعاوده من آن لآخر .. إلا أنه استمر فى تمثيل دوره .

وكان يعمل على إسكات ضميره دائمًا ، بإقناع نفسه أن الغاية تبرر الوسيلة .. وأن هذا هو حقه الذى يتعين أن يناله أخيرًا .. بعد أن جد طويلاً من أجل الوصول إليه .

وأن الحياة التى لم تمنحه سوى الفقر والحرمان سنوات طويلة من عمره . والتى حالت حتى بينه وبين حقه فى الحب والزواج من الإنسانة الوحيدة التى أحبها .. لابد وأن تفتح له الآن أبوابها ليأخذ نصيبه منها ، دون أن يخضع لأى أحاسيس أخرى يمكن أن تحول بينه وبين ذلك .

ثم .. لماذا يثقل على نفسه بذلك الإحساس بالذنب ؟

إنها معادلة محسوبة يدفع فيها كل طرف ما يقدر عليه ، وما يمكنه أن يمنحه للطرف الآخر .

ف (مديحة) تملك المنصب الكبير والثراء الذى يريده ، فى الوقت الذى تفتقد فيه الإحساس بوجود حب صادق فى حياتها .. ومشاعر رقيقة تعيد إليها ثقتها فى نفسها كامرأة .

وهو يستطيع أن يمنحها ذلك حتى لو كان تمثيلاً ، ما دام هذا يعوضها عن أحاسيس حرمت منها ، ويمنحها سعادة كانت بحاجة إليها .

أما هو فقد عاش فى حرمان من نوع آخر .. حرمان مادى .. يقابله طموح لا حدود له .

وامرأة مثلها هى التى تستطيع أن تعوضه عن ذلك الحرمان .. ما دام لا يملك وسيلة أخرى يحقق بها طموحه .

★ ★ ★

١١ ـ يا حبيبى لا تلمنى ..

سألها (مدحت) قائلاً :

ـ (مديحة) .. هل أنت سعيدة ؟

ابتسمت له قائلة :

ـ لم أكن سعيدة مثل ما أنا عليه الآن .. (مدحت) .. إننى لا أصدق حتى هذه اللحظة أن العلاقة قد تطورت بنا إلى هذا الحد .

وأننى يمكن أن أحب وأتزوج من جديد .

ـ لماذا ؟ إنك شابة وجميلة وثرية .. وأى إنسان يتمناك .

بالعكس .. أنا الذى يتعين عليه ألا يصدق نفسه .. لأننى وجدت لى مكانًا فى قلبك .. ووافقت على أن يكون لى هذا المكان ..

ـ لكن لا تنس فارق السن بيننا .

ـ هل سنعود إلى هذا الحديث مرة أخرى ؟ إن فارق السن لا يمكن أن يكون عائقًا بين قلبين متحابين .

ـ هل تحبنى حقًا ؟

ـ لست بحاجة لكى أؤكد لك ذلك .

ـ هل تعرف ؟ بعد أن فشل زواجى الأول ، حاول الكثيرون التقرب منى .. وسعوا إلى الارتباط بى . لكنى رفضت الارتباط بأى منهم .. وأوصدت بابى أمام الجميع .

فى البداية كان ذلك بسبب الصدمة التى تلقيتها على يد زوجى الأول . وإحساسى بعدم الثقة بأى رجل .

لكن فى مرحلة تالية حاولت أن أتحرر من هذه العقدة التى رسخت بداخلى .. وقررت أن أترك الفرصة لنفسى لكى أتواءم مع شخص آخر .

لكن مع الأسف لم أجد فى أى ممن قابلتهم ، ما يعوض عن الثقة المفقودة فى الرجال ، أو يحرك فى نفسى المشاعر الحقيقية التى كنت أبحث عنها ، إلى أن التقيت بك .. فأعدت لى هذا الإحساس بالثقة .. وتلك المشاعر التى تمنيتها .

تقلصت ملامح وجهه .. وقد عاوده ذلك الإحساس بالذنب عندما سمع منها ذلك .

وشعر فى هذه اللحظة بكراهية نفسه ، لأنه يخدع هذه المشاعر البريئة .. وأنه قد نجح فى دوره لينال ثقة لا يستحقها .

نظرت إليه وقد أدهشها ذلك التعبير الذى ارتسم على وجهه قائلة :

ـ (مدحت) .. ماذا بك ؟

قال لها وهو يحاول أن يبدو طبيعيًا :

ـ لا .. لا شىء .. (مديحة) إننا لن ندع مشاعرنا وعاطفتنا تلهينا عن المهمة التى جئنا من أجلها .. أليس كذلك ؟

فعلينا ألا ننسى الاتصال بالشركة ، لنطلب من المهندسين إعداد بعض التصميمات الجديدة ، وإحضارها على وجه السرعة إلى هنا لعرضها على مستر (شميت) كما طلب منك .

ابتسمت (مديحة) وقد عاد إليها اطمئنانها عليه قائلة :

ـ اطمئن .. لقد اتصلت بهم اليوم .. وسوف يحضر مهندس التصميمات بنفسه هذه الليلة ، لنعرض عليه التصورات التى وضعها مستر (شميت) ليعد

تصميماته هنـا .. ونقوم بدورنـا بعرضها على رئيس المؤسسة الألمانية .

ـ عظيم .. إذن سيكون هناك لقاء آخر بيننـا وبين مستر (شميت) غدًا .

ـ إن ما أخشاه هو أن يكون (فؤاد الأيوبى) قد قدم له التصميمات التى يريدها بالفعل .. فقد رأيته جالسًا معه بالأمس ، ويبدو أنـه كـان يعـرض عليـه هـذه التصميمات ، لأنه وضع أمامه (كتالوجًا) كبـيرًا علـى المائدة ، وكان مستغرقًا فى توضيح الصور المعروضة فى هذا (الكتالوج) .. وبصحبته شخص آخر .

سألها (مدحت) على استحياء قائلاً :

ـ هل كان يصحب معه تلك الفتاة التـى تقـوم بـدور المترجمة ؟

ـ بالطبع .. وكان من الواضـح أنهـا تقـوم بدورهـا فى همة ونشاط ملحوظين .

ارتسمت ملامح الضيق علـى وجهـه .. وداخلـه شعور بعدم الارتياح لذلك .

★ ★ ★

كانت (هيام) جالسـة أمـام الشـاطئ ، وقـد أسندت رأسها إلى مسند المقعد الجالسة عليه ، وهى ترقب أمـواج البحر المتلاطمـة أمامهـا ، وبـدت فـى حالـة استرخاء . حينما حضر (مدحت) ليقف أمامها مباشرة قائلاً :

ـ صباح الخير يا (هيام) .

قالت له وهـى شبة مغمضـة كمـا لـو كـانت تتوقـع حضوره :

ـ صباح الخير يا (مدحت) .. اجلس .

سألها (مدحت) قائلاً :

ـ ألن يسبب لك جلوسى معك أى إزعاج ؟

قالت له وهى تعتدل فى جلستها :

ـ لا تكن مملاً .. واجلس لو أردت .

جلس (مدحت) على المقعد المجاور لها حيث قـال لها وعلى وجهه ملامح التردد :

ـ لقد جئت للتحدث إليك .

ابتسمت قائلة :

ـ ماذا تشرب .. أولاً ؟

- لا أريد أن أشرب شيئًا .

تناولت (الترموس) وكوبًا صغيرًا كانا إلى بجوارها ، لتصب منه بعض الشاى فى الكوب قائلة :

- لقد أحضرت معى شايًا ساخنًا .. تناول كوبًا معى .

تناول منها الكوب على مضض وهو يطلق زفرة قصيرة قائلاً :

- (هيام) .. ماذا تفعلين مع (فؤاد الأيوبى) ؟

نظرت إليه باستغراب قائلة :

- لا أفهم معنى سؤالك .. ماذا تعنى بذلك ؟

قال لها وهو يرمقها بنظرة غاضبة :

- أنت تعرفين .. ما الذى أعنيه ؟

- لابد أنك تعرف أننى أعمل مترجمة لحسابه .. تمامًا .. كما تعمل أنت لحساب مدام (مديحة) .

قال لها باستياء :

- إننى أعمل منذ البداية فى مؤسسة (الضياء) .. والترجمة جزء من عملى هنا كموظف علاقات عامة .. أما أنت فلديك عمل آخر .. لقد أخبرتنى أنك مرشدة سياحية .. أليس كذلك ؟

ابتسمت قائلة له بلا مبالاة :

- لماذا أنت منفعل هكذا ! لقد قدم لى (فؤاد بك) عرضًا أفضل ، لذا استقلت من عملى والتحقت بالعمل لديه .. والحياة فرص يا عزيزى .

- ما الذى تهدفين إليه من وراء ذلك ؟ ولماذا اخترت (فؤاد الأيوبى) بالذات ؟

نظرت إليه بدهشة مصطنعة قائلة :

- ما الذى تعتقد أننى أهدف إليه ؟ وما وجه اعتراضك على عملى لدى (فؤاد الأيوبى) ؟ ثم إنه هو الذى اختارنى للعمل لديه ولست أنا .

- هل تظنين أنه يمكنك أن تقنعينى بذلك ؟ لقد سعيت وراء العمل لدى (فؤاد الأيوبى) .. وأنت تعلمين جيدًا أنه صاحب المؤسسة المنافسة للمؤسسة التى أعمل بها .. وأنه فى حالة نجاحه فى الاتفاق مع صاحب المؤسسة الألمانية فإن ذلك سيعود بخسارة كبيرة على مؤسستنا .

قالت له ببرود :

- وما الذى يضيرك فى ذلك ؟ إنك مجرد موظف فى هذه المؤسسة .

ثم هل تظن أن ترجمتى أنا هى التى ستؤدى إلى فوز (فؤاد بك) بالاتفاق وخسارتكم له ؟

ـ بصراحة إن نجاح صاحبة الشركة التى أعمل لحسابها فى الفوز بهذا الاتفاق يهمنى .. لأنه سيعد نجاحًا لى فى أول عمل حقيقى أقوم به منذ أن عينت بها ، وسيؤدى إلى ترقيتى لمنصب أفضل .. لذا فأنا حريص على مساعدتها على الظفر بهذا الاتفاق .

ضحكت قائلة :

ـ آه .. نسيت أنك شخص طموح .. طموح جدًا .. لكنك لست صريحًا كما يجب ..

فلماذا لم تخبرنى مثلاً بأن المنصب الذى تسعى إليه ، هو أن تكون زوج صاحبة المؤسسة ؟ وأن الترقية التى تترقبها هى أن تكون شريكها فى إدارتها ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

ـ ما هذا الذى تقولينه ؟ من أخبرك بذلك ؟

ابتسمت قائلة :

ـ لا شىء يمكن إخفاؤه يا عزيزى .. وكل العاملين فى القرية السياحية أصبحوا يعرفون ذلك .

أهنئك .. لقد استطعت أن تقفز قفزة هائلة إلى الأمام .

ألم أقل لك من قبل إنك ستصل يومًا ما إلى ما تريده ؟

قال لها متلعثمًا :

ـ فى الحقيقة .. أنا .. أعنى ..

ضحكت قائلة :

ـ لماذا تبدو مرتبكًا هكذا ؟ أليس هذا هو ما كنت تحلم به ؟

على أية حال أنا لا أستطيع أن أساعدك بالنسبة لهذه الصفقة التى تتحدث عنها .. فدورى فى هذا الأمر لا يتعدى حدود الترجمة .. ويبدو أن مستر (شميت) أكثر اقتناعًا بمنتجات المؤسسة التى يديرها (فؤاد الأيوبى) .

ـ هل يمكنك أن تخبرينى بالأسباب التى جعلت مستر (شميت) أكثر اقتناعًا ؟

حدجته (هيام) بنظرة صارمة قائلة :

ـ هل تريد منى أن أخبرك بأسرار الرجل الذى أعمل لديه الآن ؟

والذى سأكون زوجته فى المستقبل ؟!

واستطردت قائلة وهى تنهض لتغادر مقعدها :

- لا أظن أن هذا من الأمانة فى شىء !

نظر إليها بذهول وقد تسمر فى مكانه على المقعد .. ثم ما لبث أن لحق بها ليسألها قائلاً :

- ماذا قلت ؟ زوجته ؟!

قالت له وهى تسير بدلال دون أن تنظر إليه :

- نعم .. لقد عرض على الزواج ووافقت .. وسوف تتم إجراءات الزواج بمجرد عودتنا إلى القاهرة .

ابتسم فى دهشة قائلاً :

- لابد أنك تمزحين .

نظرت إليه باستعلاء .

- وهل يوجد مزاح فى مثل هذه الأمور ؟

قال لها متلعثمًا وهو مازال واقعًا تحت تأثير المفاجأة :

- ولكن .. لماذا ؟.. أعنى .. كيف ؟

قاطعته (هيام) قائلة :

- كما يحدث للعديد من الأشخاص الذين يتزوجون .. الفترة التى عملت فيها مع (فؤاد) قاربت بيننا .. وخلقت نوعًا من الألفة والعاطفة أخذ ينمو تدريجيًا ، على نحو لم يعد معه أحدنا يقوى على الابتعاد عن الآخر .

وهكذا طلب منى أن نتزوج فوافقت .

قال لها ساخرًا .

- أتظنين أنك تستطيعين أن تخدعينى بهذا الكلام ؟ إننى أعرفك جيدًا .. وأعرف أن طموحك أكبر بكثير من أى مشاعر عاطفية تتحدثين عنها .

قالت له بنفس النبرة الساخرة :

- لا تنس أننا متشابهان فى ذلك .

- ولكن كيف استطعت أن تقنعى الرجل ، خلال هذه الفترة القصيرة التى لا تتعدى بضعة أيام ، بأن يطلب الزواج منك ؟

- بنفس الطريقة التى استطعت أن تفعل بها ذلك مع رئيستك .

- هل فعلت ذلك من باب التحدى .. وإثبات قدرتك على أن تستطيعى فعل نفس الشىء ؟

قالت له بسخرية :

ـ تحد .. ولكى أثبت لك .. هل صور لك خيالك أننى أفعل ذلك لمجرد أننى أحاول إثبات شىء لك أو رد على ارتباطك بهذه المرأة ؟

هل نسيت أننا اتفقنا منذ فترة طويلة على أن كلاً منا يتعين عليه أن يبحث عما يحقق مصلحته ويسعى وراء تحقيقه .

لقد وجد مصلحتك فى الارتباط بهذه السيدة .. وأنا كذلك وجدت مصلحتى فى الارتباط بهذا الرجل .

ـ لكنه يكبرك فى العمر كثيرًا .

ـ إننى لا أعول كثيرًا على فارق العمر .. وإذا كان الزوج متقدمًا فى العمر عن زوجته ، فقد يكون ذلك أكثر قبولاً مما إذا كانت الزوجة هى الأكبر عمرًا كما فى حالتك ..

ثم إن (فؤاد) رجل ممتاز من كل النواحى .. ولا تظن أن أهم ما يميزه هو ثراؤه فقط .

لقد اكتشفت خلال الفترة القصيرة التى عرفته فيها ، أنه رجل بمعنى الكلمة ، وأن مظهره كرجل أعمال

ثرى .. يخفى وراءه مشاعر إنسانية رقيقة .. وعاطفة دافقة .. إنه رجل لا يمكن لأية إنسانة أن ترفضه .

قال لها (مدحت) ساخرًا وهو يكظم غيظه :

ـ لا تحاولى أن تقنعينى بأن موافقتك على الزواج منه كانت من أجل مشاعره الإنسانية الرقيقة وعاطفته المتدفقة .

وأنك لم تدفعيه دفعًا إلى هذا الزواج المتعجل .

قالت (هيام) بغضب :

ـ ولو افترضنا ذلك .. لماذا تأبى على أن ارتبط برجل ثرى يستطيع أن يجعلنى أحقق كل الأحلام التى تمنيتها ؟

لماذا تريد أن تنال ما كنت تحلم به وحدك ، وتسخر من الآخرين لو سعوا لتحقيق نفس الغاية ؟

إننا متشابهان .. وكلانا فعل نفس الشىء .

أنا أيضًا من حقى أن أعيش وأنعم بالثراء مع رجل غنى ، يمكنه أن يوفر لى كل ما أحتاج إليه ..

وانصرفت لتدخل الفندق وتركته واقفًا فى مكانه .. وقد خفض بصره .. دون أن يقوى على أن يعقب

بشىء .. فكل ما قالته كان صحيحًا ولا يمكنه إنكاره .. لماذا يلومها ما دام يفعل نفس الشىء ؟

وعلى مسافة غير بعيدة منهما كان (فؤاد الأيوبى) فى طريقه إلى الفندق حينما لمحهما وهما يتحدثان .

أما هى فما كادت أن تتجاوز بوابة الفندق الأمامية حتى عادت لتنظر إليه من وراء الواجهة الزجاجية .. وقد تملكها حزن لا تدرى سببه ..





١٢ ـ الاتفاق ..

أسندت ظهرها لباب حجرتها بعد أن أغلقته خلفها .. وقد اغرورقت عيناها للحظة ..

ثم غادرت مكانها لتستلقى على الفراش وقد غرقت فى دوامة من الأفكار والمشاعر المتضاربة .

قبل أن تلتقى بـ (مدحت) كانت سعيدة بما حققته خلال الأيام الماضية ، أو ربما كانت تحاول أن تتغافل عن كل ما تسبب فيه هذا اللقاء متعمدة ..

لقد استطاعت وحدها أن تنجح فى التأثير على مشاعر رجل كان يرفض فكرة الزواج مطلقًا ..

وها هى ذى مقبلة على الزواج من المليونير العزب ، وقد كانت تأمل دائمًا فى الارتباط برجل مثله .. يمكن أن يحقق لها الحياة الرغدة التى حرمت منها وحلمت بها .

ولا تستطيع أن تنكر أن السرعة التى استطاعت بها أن تستحوذ على مشاعر الرجل ، كان دافعها

الرغبة فى التساوى مع (مدحت) فى ارتباطه بهذه السيدة الثرية فيما يشبه تحديًا طفوليًا ..

كما لا تستطيع إخفاء غيرتها ، والأثر السيئ الذى تركه خبر زواجه من هذه السيدة فى نفسها .. وقد أحست أنها على وشك أن تفقد الرجل الذى أحبته للمرة الثانية .

لكنها أيضًا لابد أن تعترف أنه ليس العناد والغيرة وحدهما هما اللذان دفعاها لاستخدام أسلحتها كأنثى ، واقترابها من (فؤاد) بتلك العاطفة الزائفة لكى تدفعه إلى التفكير فى الزواج منها . بل لأن هذا هو ما كانت تتمناه وتريده .

ولو أنها لم تكن تفضل أن تكون هذه هى الوسيلة التى تتحقق بها طموحاتها .

ففى أعماقها لم تكن راضية تمامًا عن هذه الزيجة ، التى ستبنى على عاطفة زائفة ومشاهر وهمية .

إن (فؤاد) الذى عرفته كما وصفته تمامًا لـ (مدحت) .. رجل عطوف ملىء بالمشاعر والأحاسيس المرهفة ، على نحو يختلف تمامًا عن الصورة التى يبدو عليها كرجل أعمال صارم ، لا تحركه سوى الحسابات العقلانية والمصلحة المادية .

لكن الحقيقة هى أنها لم تستطع أن تحبه بقدر ما احترمته واحترمت مشاعره كما ادعت أمام (مدحت) ..

ولابد أن تعترف أن دافعها الحقيقى للزواج منه هو انبهارها بثرائه المادى والملايين التى يمتلكها .

لقد اكتشفت خلال الأيام التى عملت فيها معه مدى ثرائه على نحو لم تتوقعه ، كما اكتشفت أيضًا أن هذا الرجل يحمل قلب طفل فى داخله .. وأنه متعطش للحب بقدر تظاهره برفضه .

وأنه بحاجة لمن يمنحه مشاعر حنونًا صادقة تعوضه عن حياته الخشنة ، التى أضاعها فى سعيه الدائب وراء النجاح والوصول إلى المكانة التى وصل إليها الآن .

فقد اعترف لها بأنه كان يفكر من آن لآخر فيما استطاع أن يحققه من أهداف حددها لنفسه منذ الصغر ، وكيف أن ذلك كان على حساب السنين التى ضاعت من عمره .. والعواطف التى ألقى بها وراء ظهره .

وعندما جاء الوقت الذى يبحث فيه عن الحب ؛ لم يجد فيمن عرفهم من يمكنها أن تمنحه هذه العاطفة الصادقة التى حرم منها .

لم يجد سوى الطمع فى عيون كل من أرادت أن ترتبط به .. والنظر إلى الثروة التى يمتلكها بأكثر مما ينظرن إلى شخصه .

فقرر أن يهب ما تبقى له من عمر لعمله وللمؤسسة التى يديرها ، وأن يتغاضى تمامًا عن التفكير فى الحب والزواج .

إلى أن التقى بها .. وكانت الوحيدة التى استطاعت أن تقنعه بالعدول عن ذلك .. بعد أن غمرته بحبها وحنانها ، وأقنعته بأنها الإنسانة التى كان يبحث عنها ويتمناها .

اعتدلت فى فراشها وهى تضم ركبتيها إلى صدرها ، وقد احتوتهما بين ذراعيها قائلة لنفسها فى مرارة :

- بمعنى آخر .. كنت أكثر حذقًا من الأخريات فى خداعه .

وأكثر قدرة على أداء دور المحبة الحنون على نحو لم يتمكن معه من اكتشاف زيف هذه المشاعر .. أو معرفته أننى لا أقل عنهم طمعًا فى ثرائه .

نهضت لتنظر لنفسها فى المرآة قائلة لنفسها :

- هل أنا فتاة سيئة إلى هذا الحد ؟ أليس هذا هو ما كنت أحلم به ؟

إذن لماذا لا أبدو سعيدة ؟

وما معنى مشاعر الغيرة التى أحسست بها عندما علمت بأن (مدحت) سيتزوج من هذه المرأة ؟ برغم ما ظننته من أن أحاسيسى نحوه قد ولت وانتهت ؟

وهل يمكنها أن تحب (فؤاد) حقًا بنفس القدر الذى تدعى فيه هذا الحب وتصطنعه ؟ أم أن (مدحت) سيبقى هو حبها الوحيد ؟

وهل يمكنها أن تستمر فى هذا الزيف إلى ما لا نهاية مع إنسان لا تحبه ؟

وكيف يمكنها أن ترتبط بشخص وهى ما زالت مقيدة بمشاعر عاطفية تجاه شخص آخر ؟

عشرات من الأسئلة أخذت تلح عليها وتحاصرها ، لتؤرقها وتشتت مشاعرها فى اتجاهات شتى متضاربة .

واحتدم الصراع بداخلها ما بين أحلامها التى قاربت على التحقيق ، وضميرها الذى يأبى عليها اللجوء إلى الخداع من أجل تحقيقها . وبين رجل يمكنه أن يوفر لها كل ما تتمناه .. ورجل مازال يمتلك قلبها ..

★ ★ ★

تحدث إليها (فؤاد) وفى عينيه نظرة تساؤل قائلاً :

- أين أمضيت يومك ؟

أجابته (هيام) قائلة :
ـ لقد أمضيت بعض الوقت على الشاطئ .. ثم عدت إلى حجرتى بالفندق .
ـ هل التقيت بشخص ما قبل عودتك إلى حجرتك ؟
ـ ماذا تعنى ؟
ـ لا شىء لقد لمحتك وأنت تتحدثين إلى أحد الأشخاص أمام باب الفندق .
قالت (هيام) وقد اضطربت قليلاً :
ـ نعم .. إنه زميل لى منذ أيام الدراسة وقد التقيت به هنا .
ـ هل هذا هو كل ما فى الأمر ؟
ـ ماذا تعنى بذلك ؟
ـ أنا الذى أسألك .
ـ وأنا أريد أن أفهم معنى سؤالك هذا ؟
ـ هل تدرين أن هذا الشخص الذى كنت تتحدثين إليه يعمل لحساب (مديحة صبرى) صاحبة مؤسسة (الضياء) ؟
ـ نعم .. أعلم ذلك .
ـ وهل تعرفين أيضًا أنه الزوج المرتقب لها ؟

أغمضت (هيام) عينيها قائلة :
ـ وهذا أيضًا أعلمه .
صمت لبرهة وهو ينظر إليها مليًا .. ثم قال :
ـ حسن .. لقد أردت أن يكون ذلك واضحًا أمامك .. لكن ما دمت تعلمين بالأمر .. فإننى مضطر لتركك الآن .. فلدى اجتماع مهم مع المهندس المختص بالتصميمات فى الشركة .. ولا تنسى أننا سنتغدى معًا .
وتأهب للانصراف .. لكنها استوقفته قائلة :
ـ (فؤاد) !
استدار إليها قائلاً :
ـ نعم يا حبيبتى .
قالت له وهى مضطربة :
ـ لا .. لا شىء .
اقترب منها ليمسك بكتفها قائلاً :
ـ (هيام) .. ماذا بك ؟
نظرت إليه قائلة :
ـ متى سنتزوج ؟
ابتسم لها قائلاً :

- ألم نتفق على ذلك ؟ بمجرد عودتنا إلى القاهرة سنعقد القران .. لقد رتبت لكل شىء .. فستان الزفاف .. الحفل .. المدعوين .. كل شىء سيكون جاهزًا بمجرد عودتنا .

- ألن تندم يومًا ما على ارتباطك بى ؟

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- أندم .. إن ما يتعين على أن أندم عليه حقًا هو السنون التى ضاعت من عمرى قبل أن ألتقى بك ، وقبل أن أعرف معك معنى الحب .

لماذا تبدين مضطربة ؟ وأين ذهبت حيويتك وحماسك ؟

- يبدو أننى لست على ما يرام اليوم .

تطلع إليها بقلق قائلاً :

- هل أحضر لك طبيبًا ؟

هزت رأسها بالرفض قائلة :

- كلا .. لا داعى لذلك .

★ ★ ★

نظرت (مديحة) إلى (فؤاد) وفى عينيها نظرة فضول قائلة :

- والآن هل يمكننى أن أعرف سبب دعوتك لى ؟

انتظر (فؤاد) حتى وضع الجرسون أكواب العصير على المائدة أمامهما ثم قال :

- (مديحة) هانم .. لقد فضلت أن أوجه لك هذه الدعوة الشخصية بدون أن يكون معنا أحد .. لنتحدث معًا بمفردنا دون حساسيات ، ودون تدخل أى أطراف أخرى .

إننى أعرف جيدًا أن بيننا منافسة فى العمل .. لكنها منافسة شريفة .. وكلانا يكره اتباع أساليب ملتوية فى مجال العمل الذى نقوم به ..

- لكن يبدو أن بعض موظفيك لا يتبعون ذلك .

- وأنا غير راض تمامًا عن الأساليب التى يتبعونها .. وإن كنت مضطرًا إلى الموافقة عليها لأن بعض موظفيك يقومون بنفس الدور .

- حدد لى أسماءهم وأنا أتولى محاسبتهم بنفسى .

- لا داعى لذلك .. لأننى أظن أنك تعرفينهم جيدًا .. على أية حال . ليس هذا هو موضوعنا .

ولابد لى أن أسجل أولاً تقديرى وإعجابى بإنتاج مصانعك من (السيراميك) وأدوات الحمام .. فهو على مستوى رائع ويستحق الإشادة .

ـ أشكرك يا (فؤاد) بك .. والآن هلاً وضحت لى الأمر من فضلك ؟ فأنا مرتبطة بموعد مهم .

ـ حسن .. سأدخل فى الموضوع مباشرة .. لقد جئنا إلى هنا من أجل هدف واحد ، وهو الفوز بالاتفاق مع مؤسسة (هاندل) ، لتقديم إنتاج أحدنا عن طريق هذه المؤسسة العالمية إلى الأسواق الأوروبية .

وكلانا يبذل أقصى جهده لينال رضاء رئيس المؤسسة الألمانية لكى يمنحه وحده شرف التعامل مع هذه المؤسسة .

وهذا ما دعانا لأن نأتى إلى هنا .. والسعى وراء التقرب إلى الرجل .. وتقديم بعض التنازلات من الجانبين لكى ينفرد وحده بهذه الصفقة .. والرجل يرقب كل هذا فى سعادة بالغة .. ويتصرف معنا كملك يسعى الجميع إلى إرضائه .. بل إنه يمارس ضغوطه علينا من آن لآخر تحت إغراء التعامل مع مؤسسته .

ولقد بدأت أكره هذا التزلف المقيت .. وهذا الخضوع لابتزاز الرجل .

ـ وأنا أيضًا أشاركك الرأى .. لكن ماذا نفعل ؟ إن كلينا بحاجة لهذه الصفقة .. ليس فقط لما يترتب

علينا من عائد مادى ضخم .. وما يمكن أن يعود من ورائها على مؤسسته .. ولكن لأن عرض منتجاتنا الوطنية فى الأسواق الأوروبية .. ومنافستها للمنتجات الأجنبية فى أسواق هذه البلاد نفسها يعد فخرًا كبيرًا لأى مصرى ، وأنا أعد هذا فى حد ذاته من أكبر المكاسب التى يمكن أن تعود علينا من وراء اتفاق كهذا .

ابتسم (فؤاد) قائلاً :

ـ هل يعنى هذا أنك لن تأسفى لو ظفرت بهذا الاتفاق ؛ وأنك ستفخرين ببيع منتجات مؤسسة (الفيروز) من السيراميك .. باعتبار أننى مصرى مثلك ؟

حدجته بنظرة ثاقبة قائلة :

ـ ما الذى تهدف إليه يا (فؤاد) بك ؟

هل تريد منى أن أتنازل لك عن هذه الصفقة ؟

ضحك قائلاً :

ـ ما رأيك لو فعلتها ؟

قالت له بغضب :

ـ ولم لا يأتى التنازل من جانبك أنت ؟

ـ ولم يتنازل أحدنا للآخر ؟ لماذا لا نوحد جهودنا ونتعاون معًا في عرض منتجاتنا بأنفسنا وبجهودنا الذاتية دون حاجة للاعتماد على المستورد الأجنبى ؟

ـ ماذا تعنى بذلك ؟

قال لها (فؤاد) بهدوء :

ـ أعنى أن يضع كل منا يده فى يد الآخر .. ونتولى تصدير منتجاتنا دون حاجة إلى وسيط .

فكرت (مديحة) قليلاً قائلة :

ـ لكن ليس لدى خبرة بالأسواق الأوروبية ولا كيفية التعامل معها .. ولم أرتب لمثل هذا الأمر .

ـ وأنا أيضًا .. لكن يمكننا الاستعانة بخبراء فى هذا المجال .

ـ ولكن لم اخترتنى أنا بالذات لكى أشاركك هذا الأمر ؟

ـ لعدة أسباب .. (أولاً) لأن هذه العملية مكلفة للغاية .. ولا أريد أن أتحمل تكاليفها بمفردى .. لكن لو كتب لها النجاح فتأكدى أن أرباحها ستكون وفيرة .. ولن نضطر لمشاركة الوسطاء فى هذا الأمر .

(ثانيًا) لأننى أقدر الإنتاج الذى تنتجه مصانعك ، وأرى أنه فى مستوى مشرف يماثل إنتاج مصانعنا .. ولن يؤثر على سمعة الإنتاج المصرى فى هذا المجال بالذات .

(ثالثًا) لأننى أفضل التعاون معك عن التنافس بيننا .

(رابعًا) وهذا هو الأهم أننى ـ برغم المنافسة القائمة بيننا .. ومن كل شىء ـ أقدرك كثيرًا وأحترمك .

قالت له وقد شعرت بخجل من هذا الإطراء :

ـ أشكرك .. وتأكد أننى أحمل لك نفس التقدير والاحترام .

ـ إذن أستطيع أن أقول إننا قد اتفقنا .

ـ بصفة مبدئية .. وسوف أخبرك بقرارى النهائى غدًا .

ـ سأكون سعيدًا لو أعلنت موافقتك .. وأرجو أن تحتفظى بهذا الأمر سرًا حتى نصل إلى اتفاق نهائى .

ـ أعدك بذلك .

★ ★ ★

١٣ ـ الشك ..

استقبلها (فؤاد) بترحاب قائلاً :

ـ إننى سعيد بموافقتك على العرض الذى قدمته لك .. وتأكدى أن هذا سيكون أفضل بكثير من الاعتماد على أية جهة أجنبية لتسويق إنتاجنا .

قالت (مديحة) :

ـ وهذا ما دفعنى إلى الموافقة على عرضك .

ـ أظن أنه يتعين علينا الآن أن نلتقى بمستر (شميت) لنخبره بأننا لم نعد بحاجة لخدماته .

ابتسمت (مديحة) قائلة :

ـ سيكون الأمر مفاجأة له .

ضحك (فؤاد) قائلاً :

ـ سأشعر بسعادة بالغة وأنا أرى ذلك التعبير الذى سيظهر على وجهه عندما نخبره بذلك .

خاصة بعد ما رأيت منه .. من صلف وغرور .

ـ لكننا لم نتفق بعد على الأمور المالية المتعلقة بهذا الاتفاق وحصة كل منا فيها .

ـ لنرجئ هذا لما بعد .

ـ ولكنى أفضل لو اتفقنا عليها مسبقًا .

ـ لكننا بحاجة إلى وجود محاسبين ومتخصصين فى مجال الاستيراد والتصدير ، لكى نتمم هذا الاتفاق بصورة رسمية .. لذا يتعين علينا أن ننتظر حتى نعود إلى القاهرة ، ونصوغ هذا الاتفاق فى مكتبى أو مكتبك .. وتأكدى أننا لن نختلف .

وصمت برهة وهو ينظر إليها على نحو أثار استغرابها وحرجها قبل أن يقول :

ـ من الغريب أنه برغم المنافسة القائمة بيننا ، إلا أنك نجحت فى اكتساب ثقتى منذ الوهلة الأولى .

ابتسمت (مديحة) قائلة :

ـ وهذا هو نفس شعورى .

تأملها (فؤاد) بإعجاب .. وقد أصبح ذهنه بعيدًا تمامًا عن العمل والاتفاقات قائلاً لنفسه :

ـ يا لها من امرأة تستحق كل تقدير وإعجاب !

إنها أجمل بكثير من الصورة التى كنت أراها عليها فى صفحات المجلات ، أو على الشاشة التليفزيونية .

إنها ليست فقط سيدة أعمال تستحق التقدير .. خاصة بعد ما سمعته عن المحن التى تعرضت لها وهى فى مستهل حياتها مع زوجها السابق .

وكيف استطاعت أن تقف على قدميها من جديد ؛ لتحمل على عاتقها مسئولية مؤسسة كبيرة كهذه .. وتكون عوضًا عن أبيها فى إدارتها وتطويرها إلى هذا المستوى المشرف ، لكنها امرأة بكل معنى الكلمة .. وقد أصبحت أكثر تقديرًا وإعجابًا بها بعد أن رأيتها وتحدثت إليها .

قالت له (مديحة) وقد أحست ببعض الارتباك لتحديقه فيها على هذا النحو :

ـ أظن أنه يتعين على أن أنصرف الآن .

ـ أرجوك .. ابقى لبعض الوقت .. فالمكان هنا رائع .. والحديث لم ينته بيننا بعد .

نظرت إلى ساعتها قائلة :

ـ لكنى ..

قاطعها قائلاً :

ـ لا تقولى إن لديك موعدًا مهمًا هذه المرة أيضًا .

قالت له وقد استغربت اهتمامه الشخصى بها على هذا النحو :

ـ نعم .. هناك شخص ينتظرنى الآن .

سألها قائلاً :

ـ خطيبك ؟ أليس كذلك ؟

ـ نعم .

نظر إلى يدها قائلاً :

ـ لكننى لا أرى (دبلة) فى إصبعك .

ـ لم تحدث بيننا خطبة رسمية بعد .. لكننا ننتظر حتى نعود إلى القاهرة لنتمم إجراءات الزواج .

ـ مبروك .

ـ أظن أنه بعد أن اتفقنا على عدم حاجتنا للتعامل مع مستر (شميث) لم يعد يوجد ما يستدعى انتظارنا هنا .

حاصرها بنظراته وهو يقول :

ـ هل أنت متعجلة لإتمام موضوع الزواج ؟

أطرقت بخجل دون أن تعقب على ما قاله .

بينما استطرد هو قائلاً :

ـ ألا ترين أنه يتعين عليك أن تتريثى فى هذا الأمر قليلاً ؟

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ لماذا ؟ لا أظن أن لدينا مشاكل تحول بيننا وبين الإسراع فى عقد القران .

عاد إلى الصمت وقد بدا حائرًا فى البحث عما يتعين عليه أن يقوله من كلمات .

ثم ما لبث أن قال لها :

ـ أظن أنه يتعين عليك أن تمنحى نفسك وقتًا أطول للتفكير قبل أن تقدمى على هذه الخطوة المهمة فى حياتك .. خاصة وأن هذه هى التجربة الثانية لك .

ارتسمت ملامح الغضب على وجهها وعلا صوتها فجأة قائلة :

ـ أستاذ (فؤاد) .. لا أظن أنه من حقك أن تتحدث معى عن تجربتى الأولى أو الثانية .

فاتفاقى معك لا يتضمن إقحام نفسك فى حياتى الشخصية .

قال لها معتذرًا :

ـ آسف .. إننى أعرف أنه لا يحق لى أن أقحم نفسى فى حياتك الشخصية .. تأكدى أن ما يدفعنى إلى الحديث معك بهذه الصراحة ، هو تقديرى الشديد لك .

قالت له وهى مازالت منفعلة :

ـ إننى لا أدرى ما وجه اعتراضك على زواجى من (مدحت) .

ـ لأنه لا يوجد أى تكافؤ حقيقى بينكما .. سواء من ناحية السن أو الوضع الاجتماعى .

كما أننى بحسب ما سمعت فإن الفترة التى عرفته فيها هى فترة قصيرة للغاية .. ولا تكفى للحكم على الأشخاص جيدًا .. خاصة مع وجود هذه الفوارق التى توحى بالشك فى الدافع الحقيقى لهذا الزواج .

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ لكن بحسب ما سمعت أنا أيضًا فإنك على وشك الزواج من فتاة صغيرة تعرفتها من وقت قصير وفى ظروف مماثلة .

أطرق (فؤاد) قائلاً :

ـ معك حق .. لكنى تنبهت أخيرًا إلى خطورة التسرع فى هذا الأمر .. لذا قررت أن أتريث فى الإقدام على الزواج منها ، حتى أتأكد من حقيقة مشاعرها نحوى .

ـ أما أنا فإننى مقتنعة تمامًا باختيارى لهذا الشخص ، ولدى ثقة كاملة بمشاعره نحوى .

وهمت بالنهوض وإنهاء المناقشة .. لكنه بادرها قائلاً :

ـ هل تعرفين أن هذا الشاب كان مرتبطًا بنفس الفتاة التى أنوى الارتباط بها ؟ وأنها كانت مخطوبة له من قبل ؟

تسمرت فى مقعدها وهى تنظر إليه بدهشة قائلة :

ـ من أين حصلت على هذه المعلومات ؟ ومن الذى أخبرك بذلك ؟

قال لها بهدوء :

ـ علمت بها من مصادر موثوق بها .. وتأكدت أنها صحيحة تمامًا ..

لقد كانا على صلة وطيدة ببعضهما منذ أيام الدراسة .. كما أنهما كانا على وشك الزواج لولا أن ظروفهما المادية قد حالت بينهما وبين ذلك .

قالت له وهى تحاول أن تتمالك نفسها وتتظاهر باللامبالاة :

ـ وماذا فى ذلك ؟ لقد كان ذلك ماضيًا .. ولا أظن أن هذه الصلة قد أصبح لها وجود الآن .

ـ هذا ما أتمناه .. لكننى رأيتهما يتحدثان معًا .. بل علمت أنهما التقيا عدة مرات من قبل فى أثناء وجودهما فى القرية السياحية .

وعندما سألتها عن صلتها به .. قالت لى إنه كان مجرد زميل لها ، وأخفت عنى حقيقة حبهما القديم وخطبتها السابقة له .

قالت له وهى تحاول أن تنفى أى شكوك بداخلها :

ـ لكنك لم تخبرنى عن مصدر المعلومات التى حصلت عليها .

ـ سيدتى .. إن شخصًا مثلى يستطيع أن يحصل على المعلومات التى يريدها وقتما يشاء وبأسرع وسيلة ممكنة .

حينما رأيتهما يتحدثان معًا أحسست بأن هناك صلة غير عادية تجمع بينهما .. كما أن ارتباكها حينما

سألتها عن علاقتها بهذا الشاب زاد من شكوكى .. ودفعنى إلى تحرى حقيقة الأمر .

ـ ربما تكون الفتاة قد أخفت عنك صلتها السابقة بـ (مدحت) خوفًا من أن تظن بها الظنون .. ولكن هذا لا يعنى أن هذه الصلة مازالت قائمة على النحو الذى كانت عليه .

ـ قد يكون ذلك صحيحًا كما تقولين .. لكن ألا ترين أنه ينبغى علينا أن نتأكد من ذلك ؟!!





١٤ ـ الشخص المناسب ..

انتظرت (هيام) حتى انتهى (فؤاد) من لعب التنس مع أحد أصدقائه ثم توجهت إليه وعلى وجهها ملامح الانفعال .

وما إن رآها وهى مقبلة نحوه حتى ابتسم لها ، وهو يجفف عرقه بالمنشفة قائلاً :

ـ أهلاً (هيام) .. هل ترغبين فى لعب مباراة فى التنس ؟

لقد انتهيت من فورى من لعب مباراة قوية .. لكنى على استعداد للعب معك مرة أخرى . قالت له بعصبية :

ـ أنت تعرف أننى لا ألعب التنس .

نظر إليها باستغراب وهو يتوجه إلى مائدة قريبة من الملعب قائلاً :

ـ ولماذا تبدين منفعلة هكذا ؟

ـ لقد رأيتك جالسًا بالأمس فى الكافتيريا ومعك هذه السيدة صاحبة مؤسسة (الضياء) .

قال لها بلا مبالاة وهو يجلس :
ـ نعم .. وماذا فى ذلك ؟
ـ إن الصورة الودية التى كنتما عليها تتنافى تمامًا مع التنافس القائم بينكما .
ضحك قائلاً :
ـ إننا نتنافس معًا فى مجال عمل واحد .. لكننا لسنا عدوين .
قالت له (هيام) بسخرية :
ـ حقًا ؟ إذن لماذا تريد أن تزيحها من طريقك لكى تظفر بالاتفاق مع المؤسسة الألمانية وحدك ؟
كما أنه لم يكن يوجد أية معرفة مسبقة بينكما .. فكيف أصبحتما صديقين على هذا النحو الذى كنتما عليه ؟
ابتسم قائلاً :
ـ آه .. نسيت أن أخبرك .. لقد اتفقنا معًا على عدم التعامل مع المؤسسة الألمانية .. وأن نوحد جهودنا لتصدير إنتاج الشركتين إلى الأسواق الأوروبية مباشرة .. دون وسيط .
قالت له مستنكرة :

ـ لكنك كنت حتى وقت قريب تراها منافسة خطيرة لك .
قال لها بهدوء :
ـ بالأمس شىء .. واليوم شىء آخر .. إننى رجل أعمال ، وأتخذ من القرارات ما أرى فيه مصلحتى .
ومصلحتى الآن هى فى التعاون مع هذه السيدة .. لأننى أرى أنها تستحق أن تكون موضع ثقة .. ولأن ذلك فى صالح الطرفين .
ـ لكن كان يتعين عليك أن تخبرنى بذلك .
ـ حقًا ؟ وهل تخبريننى أنت بكل أسرارك ؟
نظرت إليه باستغراب قائلة :
ـ ماذا تعنى ؟ لقد أخبرتك بكل شىء عنى .. وليس لدى أسرار لأخفيها عنك .
قال لها وعلى وجهه مسحة من الغضب :
ـ عدا خطبتك السابقة لهذا الشاب الذى رأيتك تتحدثين إليه .
أظن أن اسمه (مدحت) .. أليس كذلك ؟
حدقت فى وجهه وقد بوغتت بما قاله :
بينما استطرد قائلاً وقد اشتدت حدة الغضب فى ملامحه وصوته :

ـ لماذا أنكرت أنك كنت تحبينه .. وأنك ارتبطت معه بخطبة ؟

ولماذا كذبت على وقلت لى إنه لم يكن بينكما سوى مجرد زمالة ؟

ظلت صامتة لبرهة وقد أعجزتها المفاجأة عن الرد .

ثم حاولت أن تستجمع قوتها وهى تقول له :

ـ من الذى أخبرك بذلك ؟ هى .. أليس كذلك ؟ لقد أخبرها هو بالأمر فأخبرتك به بدورها .

قال لها محتدًا :

ـ لا يهم من أخبرنى بذلك .. المهم أنك لم تكونى صادقة معى ، وأنك تعمدت إخفاء الحقيقة .

قالت له بصوت مضطرب :

ـ لقد خشيت لو أخبرتك بالحقيقة أن يثير ذلك شكوكك .

خاصة وأن هذه العلاقة قد انتهت منذ فترة طويلة .

حدجها بنظرة فاحصة قائلاً :

ـ هل انتهت حقًا ؟ أم أنك مازلت تخفين عنى الحقيقة ؟

انكمشت فى مقعدها ، وقد أحست كما لو كانت متهمة تجلس أمام محقق ، يحاول الغوص فى خبايا

نفسها ، وكشف أسرار مشاعرها التى تحاول هى نفسها أن تخفيها عن نفسها .

فهى لا تدرى إذا ما كان حبها لـ (مدحت) قد انتهى بالفعل أم لا ؟

لكن من المؤكد أنها لا تشعر تجاه (فؤاد) بعاطفة حقيقية كتلك التى أحستها تجاه (مدحت) ..

هل تقول له إن حبها نحوه غير صادق ؟

وأن الغيرة التى أظهرتها له منذ لحظات ليست لأنها تحبه ، ولكن لأنها تخشى أن تسرق منها امرأة أخرى حلم الثراء الذى يحمل (فؤاد) مفاتيح تحقيقه .

أم تواصل الكذب والإنكار ؟

ولم تستطع أن تبوح له بالحقيقة .. فأصرت على إنكار وجود أى مشاعر عاطفية من ناحيتها تجاه (مدحت) ..

★ ★ ★

اقترب (مدحت) من (هيام) فى أثناء جلوسها فى الكافيتريا ليقف أمام مائدتها المحاطة بسعف النخيل .

وفى تلك اللحظة أشار (فؤاد) الذى كان يراقبهما إلى (مديحة) قائلاً :

ـ لقد خدمتنا الظروف .. وأظن أننا نستطيع أن نعرف الكثير من خلال لقائهما معًا .

جلس (مدحت) على المقعد المجاور لـ (هيام) قائلا :

ـ صباح الخير يا (هيام) .. لماذا لم أرك منذ يومين ؟

تلفتت حولها باضطراب وهى تقول له :

ـ من فضلك .. ابتعد عنى الآن .. ولا تحاول التحدث إلىّ .

نظر إليها باستغراب قائلاً :

ـ ابتعد عنك ؟ لماذا ؟ ما معنى هذا ؟

قالت له (هيام) متوسلة :

ـ أرجوك يا (مدحت) .. إما أن تنصرف أنت أو أنصرف أنا .

ـ ماذا حدث ؟

ـ إن (فؤاد) يعرف كل شىء عن علاقتنا السابقة .. وهو يشك فى أن هذه العلاقة مازالت قائمة بيننا .

ـ وكيف عرف ذلك ؟

ـ ربما تكون قد تحدثت عن ارتباطنا السابق إلى (مديحة) .. وقامت هى بإطلاعه على ذلك .

ـ إن (مديحة) لا تعرف أى شىء عن ارتباطى بك .

ـ على أية حال فإننى أرى فى عينيه نظرات توحى بعدم الثقة .

لقد أخذ يطرح علىّ العديد من الأسئلة حول معرفتى بك ، وخطبتى لك .

سألها (مدحت) قائلا :

ـ وماذا قلت له ؟

ـ حاولت أن أفهمه بأن ما بيننا قد انتهى .. وأننا الآن مجرد صديقين .

قال لها وهو يرمقها بنظرات مختلسة :

ـ وهل كنت صادقة فيما قلته ؟

نظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ بالطبع .. أليست هذه هى الحقيقة ؟

ـ لا أظن أنها الحقيقة .. فعيناك تكذبانك .

قالت له وقد ازدادت دهشتها :

ـ ما هذا الذى تقوله يا (مدحت) ؟

قال لها وهو ينظر إلى عينيها :

ـ أقول ما أراه .. هل نسيت ما كنت أقوله لك من قبل : إننى قادر على أن أقرأ فى عينيك ما لا يستطيع أن يشى به لسانك ؟

(هيام) .. إنك مازلت تحبيننى .. كما أحبك .. ولن نستطيع مهما أنكرنا أن نهرب من هذه الحقيقة .

اضطربت (هيام) اضطرابًا شديدًا حتى إنها همت بمغادرة مقعدها وهى تقول له :

ـ (مدحت) .. إننى لا أستطيع أن أسمع هذا الكلام ، ولا تنس أننى مخطوبة .

قال لها بإصرار وهو يمسك بيدها ليمنعها من مغادرة مقعدها :

ـ أنت لم ترتبطى به بعد ارتباطًا رسميًا .. ولا يمكن أن ترتبطى بشخص لا تحبينه .

ـ لقد اتفقنا من قبل على أن نلقى بالحب وراء ظهورنا .. إذا أردنا أن نحقق أحلامنا فى الحياة التى نأملها .

ـ لكن حبنا يطاردنا دائمًا ولا مهرب لنا منه .

ـ وطموحك وأحلامك القديمة ؟

ـ فى هذه اللحظة لا أفكر إلا فى شىء واحد وهو أننى أحبك .. كنت أظن أننى أستطيع أن أتغلب على هذا الحب بسهولة لكنى كنت أفكر فيك دائمًا .

وعندما ظهرت مرة أخرى فى حياتى .. أدركت أننى لم أنسك قط .. وانتابنى إحساس بالحزن والألم عندما علمت بأنك ستكونين لشخص آخر سواى .

أحسست ساعتها بمدى حاجتى إليك .. وبأننى كنت واهمًا عندما ظننت أننى أستطيع أن أخرجك من حياتى .

ـ وزواجك من (مديحة) ؟ هل نسيت ؟ إنها طريقك إلى الجنة التى عشت تحلم بها .

أطرق (مدحت) قائلاً :

ـ لقد بدأت أشعر كلما اقترب موعد زواجنا بأننى لا أستطيع الاستمرار فى هذا الأمر .

إن لفحات النار التى يكوينى بها ضميرى ، أقوى من نسمات هذه الجنة التى حلمت بها .

لم أعد أستطيع الاستمرار فى تمثيل دور الشرير ، لأننى لست كذلك . ربما كنت طموحًا .. أو لدى أطماع كبيرة .. أكبر من قدرتى على تحقيقها .. لكننى لست شريرًا إلى حد أن أخدع مشاعر إنسانة نبيلة لكى أستولى على قلبها ومالها .

نظرت إليه دون أن تقوى على مقاومة عاطفة دافقة أطلت من عينيها .. وقالت :

ـ هذا انقلاب على الهدف الذى اخترته لنفسك .

ـ بل هو انقلاب على الدور الذى أردت أن أؤديه دون أن أصلح له .

حاولت أن أقنع نفسى بأن الغاية تبرر الوسيلة .. لكنى فشلت فى ذلك .

لن أخون ضميرى .. ولا مشاعرى بعد الآن .

إننى مستعد للتضحية بأحلامى السابقة .. لكننى لن أضحى بحلم زواجنا وحبنا القديم .

قالت له بعد برهة من الصمت :

ـ وما الذى تنتظر منى أن أقوله لك ؟

ـ تقولين ما قالته عيناك من قبل .. إنك ستفعلين مثلى .. ولن تؤدى دورًا ليس دورك .. لا تتحدى مشاعر الحب بعد الآن .. يجب أن يعود كل منًا للآخر كما كنا من قبل .. ولا تنسى أنك أنت التى طلبت منا أن نفترق .

ـ وأنت استجبت لما طلبته سريعًا .. لأنك كنت تريد هذا .

ـ كنت غبيًا .

عادت للصمت مرة أخرى وقد بدت حائرة .. ثم ما لبثت أن قالت له :

ـ نعم .. أنا أيضًا لم أعد أستطيع الاستمرار فى أداء هذا الدور البغيض .. ولم يعد يمكننى التظاهر بعاطفة غير حقيقية .

عاطفة قائمة على الغش والخداع .

يبدو أننا متشابهان فى كل شىء .. فكلانا يمنعه ضميره من الوصول إلى أحلامه .. على حساب مشاعر الآخرين .

لقد كنت بحاجة لأن أسمع منك هذا لكى أفعل ما يلح على به ضميرى .

ـ سأعترف لـ (مديحة) بكل شىء .. وأرحل عن (شرم الشيخ) هذه الليلة .

ـ وأنا سأفعل نفس الشىء وأرحل معك .

وما لبثا أن فوجئا بظهور (فؤاد) و (مديحة) أمامهما .

تحدث (فؤاد) قائلاً :

ـ لا حاجة بكما للاعتراف لنا بجرمكما .. فقد كنا قريبين منكما .. وسمعنا كل شىء بأنفسنا .

نظرت (مديحة) إلى (مدحت) وفى عينيها نظرة احتقار .. قال لها دون أن يقوى على مقاومة نظرتها إليه :

- سامحينى يا (مديحة) .. أقصد يا (مديحة) هانم .. وما دمت قد سمعت كل شىء فلابد أنك قد عرفت أننى ندمت على ما فعلته .. وأننى كنت أنوى مصارحتك بالحقيقة .

قالت له بمرارة :

- تصارحنى ؟ بعد ماذا ؟

قال لها (فؤاد) :

- لا داعى للوم أو العتاب الآن .. المهم أننا عرفنا كل شىء فى الوقت المناسب .

نظرت (هيام) إلى (فؤاد) فى استعطاف قائلة :

- أنا آسفة يا (فؤاد) .. وأرجو أن تسامحنى .

قال لها وهو يحاول أن يبدو متماسكًا :

- (فؤاد) بك من فضلك .. أظن أننى أستطيع أن أسامحك برغم تلاعبك بعواطفى وغشك لى .. فلست وحدك الملومة ولكن أنا أيضًا شاركتك فى هذا الخطأ .

ولم يكن ينبغى لرجل مثلى الاندفاع وراء عاطفة متهورة كهذه دون تروٍّ ، ودون النظر إلى أشياء

كثيرة كان يتعين عليه أن يضعها فى الاعتبار ، كفارق السن مثلاً .. وما يمكن أن تهدف إليه فتاة شابة مثلك من رجل يكبرها بعشرين عامًا .

ثم أمسك (فؤاد) بساعد (مديحة) قائلاً لها :

- أظن أنه لم يعد يوجد ما يدعو إلى بقائنا هنا الآن .. فقد انتهى الأمر بالنسبة للجميع .

ظل (مدحت) و (هيام) صامتين لبرهة من الوقت بعد انصرافهما ، وقد خيم على المكان سكون ثقيل .

وما لبثت أن نظرت إليه قائلة :

- وماذا سنفعل الآن ؟

أجابها قائلاً :

- لا شىء عدا أننى سأقدم استقالتى بعد عودتى إلى القاهرة .

- أما أنا فقد خسرت وظيفتى فى الشركة السياحية ووظيفتى الأخيرة .

ابتسم لها (مدحت) قائلاً :

- اطمئنى .. فقد وجدت وظيفة مناسبة لنا هنا .. وبعد أن نرحل إلى القاهرة نعقد القران سنحضر أوراقنا للالتحاق بالعمل فى هذه القرية السياحية .

قالت له غير مصدقة :

ـ هل ما تقوله صحيح ؟

أجابها قائلاً :

ـ نعم .. إنهم بحاجة لشخصين يجيدان اللغة الألمانية .. وقد اتفقت مع مدير القرية على القيام بهذا العمل ، وفرح للغاية عندما تأكد من إتقانى للغة الألمانية ، ولا بد أنه سيفرح أيضًا عندما يتبين أنك لا تقلين عنى إتقانًا لها .

ـ إذن فسوف نعود إلى هنا .

ـ نعم .. وسنحصل على مسكن ملائم .. وأجر مرتفع ، دون حاجة للبحث عن شقة وأثاث وكل هذه التعقيدات الأخرى ، وسنعمل بكل جد وإخلاص .. وندخر كل قرش من راتبنا يزيد على حاجتنا .

وبعد بضع سنوات سنكون قد جمعنا مبلغًا لا بأس به يمكن أن يكون بداية لمشروع صغير .. ومع الوقت سيكبر هنا المشروع ليصبح مشروعًا ضخمًا .

أكملت (هيام) قائلة :

ـ وربما أصبح لدينا مؤسسة صناعية كبيرة لا تقل عن مؤسسة (فؤاد الأيوب) أو (مديحة صبرى) .

ـ وسيكون لدينا الفيلا الأنيقة والسيارة الفاخرة .. بل عدة سيارات .. ورصيد فى البنك .

ـ ونحقق كل ما حلمنا به .

ـ ولكن بدون أن يتخلى أحدنا عن الآخر أو يضحى بحبه مهما واجهنا من الصعاب .

ـ بعرقنا وكفاحنا .. وليس على حساب خداع الآخرين أو على حساب ضميرنا .

وتشابكت يداهما .. وهما يسيران معًا على رمال الشاطئ ، وقد استمرا فى نسج الأحلام عن المستقبل كما كانا يفعلان فى الماضى .

بينما سارت (مديحة) بجوار (فؤاد) وقد انسابت العبرات على وجنتيها .

وامتدت أصابع (فؤاد) لتمسح تلك العبرات قائلاً لها :

ـ لا داعى للبكاء .

قالت له وهى تنتحب :

ـ لقد خدعت فى عواطفى للمرة الثانية فى حياتى .

قال لها بلهجة حنون :

ـ لا تضخمى الأمر .. فهناك فارق كبير بين ما حدث لك من قبل وما حدث هذه المرة . (أولاً) إنك لم

تتزوجى من هذا الشاب بعد .. (ثانيا) إن هذا الشاب ليس سيئًا على النحو الذى كان عليه زوجك الأول .. وكذلك (هيام) .. كل ما هنالك أنه كان لديهما أحلام كبيرة كأى شابين عاشا فى فقر وحرمان ..

أحلام عجزا عن تحقيقها ؛ لأن الظروف لم تساعدهما ، ولأنهما كانا متعجلين فى الوصول إليها .. وظنا أنهما يستطيعان تحقيق هذه الأحلام عن طريقنا بطريقة أسرع وبأية وسيلة .

لكن ضميرهما استيقظ فى الوقت المناسب ولم يستطيعا أن يواصلا ذلك لأن معدنهما طيب .

ثم إن هناك شيئًا يحسب لهما .. فقد أيقظا فينا مشاعر وأحاسيس كنا بحاجة إليها ، وظننا أننا قد فقدناها .

لكننا وجّهنا هذه المشاعر التى استيقظت فينا وجهة خاطئة .

فلم تكن هذه الفتاة هى التى تناسب شخصًا مثلى .. وكذلك لم يكن هذا الشاب مناسبًا لك .

قالت له (مديحة) بأسى :

ـ علينا أن ندفن هذه المشاعر والأحاسيس بداخلنا مرة أخرى ، ولا نسمح لها بالظهور فى حياتنا من جديد .

قال لها معارضًا .

ـ خطأ !.. بل علينا ألا نسمح لها بأن تختفى من حياتنا بعد الآن أبدًا ..

فلا معنى للنجاح .. أو الثراء .. بدون وجود هذه المشاعر فى حياتنا .

المهم أن يختار كل منا الشخص الذى يناسبه والذى يثق بأنه يستطيع أن يبادله هذه المشاعر الإنسانية الصادقة .

وأنا قد اخترتك أنت يا (مديحة) .. اخترتك بعقلى وقلبى وإحساسى ، بعد أن عرفتك طوال الأيام الماضية .. اخترتك لتكونى حبيبتى وزوجتى .. وأنا واثق من أننى قد وفقت هذه المرة فى اختيارى .

نظرت إليه بدهشة انتشلتها من أحزانها قائلة له :

ـ أنا ؟

ـ نعم .. هل توافقين يا (مديحة) على أن تشاركينى حياتى أيضًا كما شاركتنى عملى ؟

قالت له متلعثمة .. وقد تنازعتها مشاعر شتى :

ـ لا أعرف بم أجيبك .. إننى .. لا أدرى ..

قاطعها قائلاً :

ـ لا تتسرعى فى الرد الآن .. خذى ما يكفيك من الوقت للتفكير .. لكن تأكدى أننى سأكون أسعد إنسان لو وافقت .. كما أننى سأبذل كل جهدى لكى أجعلك تنسين أية تجربة أليمة مرت فى حياتك .. وأمنحك كل ما تحتاجين إليه من حب صادق حقيقى .. ذلك الحب الذى حرمنا نحن الاثنين منه طويلاً .

ظلت صامتة لبرهة .. ثم قالت له :

ـ أعدك أن أفكر فى هذا الأمر .

ثم استطردت قائلة بعد أن سارت إلى جواره بضع خطوات أخرى :

ـ وأظن أننى سأوافق .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

صدر من هذه السلسلة :

زهور

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى

المؤلف



أ . شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

قلوب حائرة

كانوا جميعًا يحلمون بأشياء تمنوها وعجزوا عن تحقيقها ... بعضهم حلم بالحب .. والبعض حلم بالثراء .. وفى غمرة الصراع بين الحلم والواقع كاد كل منهم أن يضل طريقه .. وأن يضلل قلبه .

76

٢٢١٨٩

مصر

الثمن فى مصر ١٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم